الثقافة الإسلامية

(١٠)

دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام

خمسة وعشرون درساً في الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام

الإصدار الثاني

مع إضافات وتصحيح وتنقيح

محمّد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومقالات
ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ١٠ -

❊ ❊ ❊

اسم الكتاب: ... دروس عن الثقافة الادارية والقيادية في الإسلام
المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الثانية: .... ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م
الكمية .... ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:........ مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَبمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ
فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾

آل عمران: ١٥٩

مفردات الثقافة الإدارية في الإسلام

فيما يلي نحاول إن شاء الله، أن نستعرض طائفة من مفردات الخصال القيادية والإدارية في الثقافة الإدارية في الإسلام.

هذه المفردات مبثوثة، في التعاليم الأخلاقية والعرفانية والإدارية والوعظية، في النصوص الإسلامية من الكتاب والسُنّة، ونحن نحاول فيما يلي أن نستعرض طائفة من هذه المفردات من خلال النصوص الإسلامية.

١ـ ٢ـ القرار بين التوكل والتفويض والاستشارة:

هذان المفهومان، مفهومان حركيان، نابعان من التوحيد، ويمنحان الإنسان قدرة فائقة وكفاءة عالية على التحرك في ساحات الحياة العريضة.

وهما يسلبان الإنسان كل حالة للتردد والضعف والخوف في العمل.

فإن التوكل والتفويض يقومان على أساس حالة نفسية ثابتة ومطمئنة للعبد. وهذه الحالة النفسية المطمئنة بالله تعالى

تمنح الإنسان القدرة والقوة والمعنوية العالية في العمل.

التوكل:

قد وعد الله تعالى عباده أن يكفي المتوكلين عليه، يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[1] و(حسبه) يعني: يكفيه من كل شيء. والله تعالى يكفي من كل شيء ولا يكفي عنه شيء.

وكفاية الله تعالى لعبده سُنة مشروطة من سُنن الله. وهذا الشرط هو التوكل على الله، فمن يتوكل على الله يكفيه الله وهو حسبه. يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾.

وهذا هو معنى السنن المشروطة، بخلاف السنن القطعية غير المشروطة فهي غير مرتبطة بشرط، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾[2].

---

(١) الطلاق: ٣.

(٢) البقرة: ١٥٥.

فإن الابتلاء سُنة مطلقة وغير مشروطة.

والتوكل هو أحد وجهي القرار.

والوجه الآخر للقرار هو (الاستشارة). وتتم الاستشارة في مرحلة التحضير للقرار، بالتداول والمناقشة مع أصحاب الرأي... وهذا هو الوجه الآخر للقرار.

فالتوكّل إذن في مرحلة التنفيذ والعزم.

وأما الاستشارة ففي مرحلة التحضير للقرار، وهي تنفع في تنضيج القرار وترشيده.

والتوكل في مرحلة العزم والتنفيذ ينفع في كبح (الأنا) في مرحلة القرار والعزم والتنفيذ، وتعميق اعتماد العبد على الله تعالى وحوله وقوته، وإزالة حالة التردد.

وعن هذين الوجهين للقرار يقول تعالى: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ**﴾[١].

التفويض:

والتفويض أن يضع الإنسان نفسه وتصرفه وإرادته وعقله

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

تحت تصرف الله تعالى، يوجهه كيفما يريد، فيعمل بما يريد الله ويختار له. وليس معنى ذلك أن لا يخطط ولا يفكر ولا يحاول، وإنما معنى ذلك أن يجعل تفكيره وعزمه وتدبيره وسعيه في امتداد ما يريد الله تعالى له، ويطلب من الله أن يوجه فكره وعزمه وإرادته كما يحب، ويضع فكره وإرادته تحت تصرف الله، واثقاً بالله ثم يفكر ويخطط ويحاول ويعزم كما يفعل سائر الناس.

وأثر التفويض في حركة العبد: التسديد، والتأييد، والتبصير من الله تعالى لعبده، ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[١].

وأثره في نفس العبد: الاطمئنان والثقة بالله في الحركة. فإن الإنسان إذا شعر بأن حركته وعمله من تدبير الله، وأن الله يتولى تدبير أمره، ويوجهه، ويبصّره يكتسب قوة ومعنوية عالية في العمل.

إن (العمل) و(الحركة) في ساحات الحياة يمكن أن

---

(١) غافر: ٤٤.

تكون سُلّماً يرفع الإنسان إلى قمم التوحيد، إذا شدّ الإنسان حركته وعمله بالله تعالى توكلاً وتفويضاً.

ويمكن أن يكون عمله وحركته حجاباً بينه وبين الله إذا قطع حركته وعمله عن الله وشدّه بعجلة الأنا.

فإن الحركة والعمل بهذا الاتجاه يصيبه بخيبة كبيرة في حال الفشل، وبنشوة الذات والأنانية في حالة النجاح. وكلاهما ضاران.

إن أعمالنا في الحياة يمكن أن نحولها إلى مراقي ومعارج للعروج إلى الله، وتعميق حالة الارتباط بالله والعبودية لله تعالى، ويمكن أن تتحول إلى حجب كثيفة، غليظة تحجب صاحبها عن الله تعالى حجباً تاماً.

٣ـ ٤ الذكر والتقوى:

لا نقصد بالذكر هنا التسبيح والتحميد فقط، وإن كان ذلك من الذكر، ومن أوضح مصاديقه، وإنما نقصد بالذكر هنا – بعد ذلك وبالاضافة إلى ذلك – أن يبقى الإنسان العامل في ساحة العمل، في الإدارة، والقيادة، ومواجهة المشاكل،

مرتبطاً بالله تعالى، واضعاً ثقته في الله، مشدوداً بالله، داعياً الله أن ينصره ولا يخذله، ويتولى أموره، ولا يكله إلى نفسه... وهذا الذكر لا يتعارض مع العمل، بل يقوى به العمل وهذا هو الذكر الذي يأمرنا به الله تعالى في ساحة المعركة.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ * وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1].

وهذه أربع تعليمات في ساحة القتال: الصبر، والذكر، والطاعة، والتفاهم.

وهذه الأربعة هي من أهم عوامل النصر:

الصبر والصمود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ﴾.

الذكر: ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ﴾.

الطاعة: ﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

---

(١) الأنفال: ٤٥ ـ ٤٦.

التفاهم والانسجام: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وفي هذه الآية الكريمة يأتي (الذكر) في مقدمة عوامل النصر.

فإن ذكر الله في ساحة المعركة يشدّ ضعف العبد بقوة الله، وعجزه بسلطان الله تعالى، ويمنح الإنسان الشعور بالاستعلاء على الأعداء، وعندها يتصاغر الأعداء في عيون المؤمنين، مهما بلغوا في العدد وتتضائل قوتهم مهما أعدوا من أسلحة وآليات، لأن القائد والجندي يكون عندئذ ممن عظم الخالق في نفسه فصغر ما دونه في عينيه، على حد تعبير أمير المؤمنين عليه السلام.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا لقيتم عدوكم فقلّلوا**

---

(١) الرعد: ٢٨.

الكلام وأكثروا ذكر الله»[1].

لأن النفس الإنسانية بطبيعتها ضعيفة تكره الموت وتؤثر البقاء، وهي في خضم المعركة تتوقع الموت في أي لحظة.

ولا شيء يسكّن هذه النفس الجزوعة الهلوعة إلاّ ذكر الله، ولا شيء يرغّب النفس لما اختاره الله تعالى لعباده الصالحين من الرحمة والرضوان إذا كان موته قتلاً في سبيل الله، مثل ذكر الله.

ويؤكد الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لأهل الثغور على التذكير بنعيم الجنة الذي أعده الله للشهداء: «**وأُنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخدّاعة الغرور، وأمسح عن قلوبهم خطرات المال الفتون، وأجعل الجنة نصب أعينهم، ولوح منها لأبصارهم ما أعددت فيها من مساكن ومنازل الكرامة، والحور الحسان، والأنهار المطردة بأنواع الأشربة، والأشجار المتدلية بصنوف**

(١) بحار الأنوار ٩٣: ١٥٤.

الثمر، حتى لا يُهم احد منهم بالإدبار، ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار»[١].

ولذكر الله أهمية كبيرة في حياتنا العملية في الأسواق ودوائر العمل. عن أمير المؤمنين عليه السلام «**أكثروا ذكر الله عزّ وجل، إذا أدخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة للذنوب وزيادة في الحسنات ولا تكتبوا في الغافلين»**[٢].

التقوى

بالتقوى يحصّن المسؤولون أنفسهم من الخيانة والتلاعب بمصالح المسلمين، من الغش، والاستبداد بالرأي، وبطانة السوء، واستضعاف الناس، واضطهادهم، وسرقة أموال بيت المال وإهدارها، والتفريط في الثروات الطبيعية التي ادخرها الله تعالى في بطن الأرض لمصالح المسلمين.

---

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام للشيخ جعفر الحائري: ٥٧.
(٢) بحار الأنوار ٩٣: ١٥٤.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[١].

إن الشيطان يقتحم على الفاجرين الفاسدين الفاسقين، ويؤزهم أزّاً، ويوردهم موارد الهلكة والخيانة وبيع الاوطان والشعوب.

ولكن المتقين لا يقدر عليهم الشيطان بأكثر من المسّ ﴿**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ**﴾، فإذا مسّهم طائف من الشيطان انتبهوا وتذكّروا في الحال وأبصروا بالشيطان ومكره، فيهرب عنهم الشيطان ﴿**إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾.

وأن الشيطان ليهرب من النور والذكر واليقظة، فإذا وجد غفلة من المتقين عاد إليهم ليمسّهم مسّاً خفيفاً على قدر ما يستطيع، فإذا تذكّر هرب منه وخنس، وذلك هو الوسواس الخنّاس، يزحف إلى المتقين زحفاً هادئاً، كما يزحف

---

(١) الاعراف/ ٢٠١.

السارق في ظلمة الليل للسرقة، وذلك هو (الوسوسة) (: الزحف الهادئ) فإذا تذكّروا خنس الخبيث، وذلك هو الوسواس الخنّاس.

وبالتقوى يفرج الله عن المؤمنين الأزمات والنكبات ويجعل لهم منها فرجاً ومخرجاً. وبالتقوى يرزق الله عباده الصالحين من حيث لا يحتسبون.

يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[1].

وللتقوى معطيات عظيمة يعدد بعضها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته حيث يقول: «**فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوِّها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد أنصابها**»[2].

إنها السعادة الحقيقية وخلافها الشقاء، يقول عنها الإمام

---

(١) الطلاق/ ٢ – ٣.

(٢) نهج البلاغة: خ ١٩٨: ٨.

الحسين عليه السلام في دعائه «**وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتك**»[(١)].

فإذن بالتقوى يتحصّن الإنسان بوجه الإغراءات والعروض التي تجرف الكثيرين.

أرسل أحدهم بصرَّة مالٍ إلى أبي ذر رحمه الله على يد عبد له، ليسكت عن عبثه ببيت مال المسلمين، وقال له: إن قبلها منك فأنت حر، فلم يقبلها، فقال: إقبلها فإن فيها عتقي، فقال: إن كان فيها عتقك فإن فيها رقّي، ولا أكون عبداً لغير الله[(٢)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «**قد أحيى عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق، وسلك به السبيل**»[(٣)].

وما أحوج القيادات إلى هذا البرق اللامع الذي يكشف

(١) بحار الأنوار ٩٤: ٣١٥، حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ١: ١٨٠.
(٢) أعيان الشيعة ٤: ٢٣١ وشجرة طوبى ١: ٧٥.
(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٠٤ الكلام ٢٢٠.

عنهم الظلمات، وينير لهم الطريق.

٥ـ القرار الراشد الصحيح في المسائل الاجتماعية:

لكي يكون القرار راشداً صحيحاً لابد ان تتوفر فيه خصلتان:

١- التروّي والتأمل والتدبر والتخطيط والدراية الدقيقة، وهذا هو (الحزم).

٢- إشراك الناس بالرأي وكسب ثقتهم وخبرتهم وعقولهم بالاستشارة، وهذا هو (الشورى).

العنصر الأول (الحزم):

لإحراز الحزم في القرار لابد من التأنّي والتروي والتأمل والدراسة قبل القرار، لئلا يكون القرار هشاً ضعيفاً انفعالياً، غير ناضج تجاه حالات أو كلمات استفزازية طارئة.

وهذا الحزم والتروي هو العنصر الاول في القرار الصحيح الناجح.

روي أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني، فقال: فهل انت مستوص إن أوصيك؟ حتى قال ذلك

ثلاثاً وفي كلها يقول الرجل نعم يا رسول الله.

فقال له رسول الله ﷺ: (**فإني أوصيك اذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فان يك رشداً فامضه، وان يك غيا فانته عنه**)[١].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (**من تورط في أمر بغير نظر إلى عواقبه، فقد تعرض للنوائب**)[٢].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال لعبد الله بن جندب: (**وقف عن كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه، قبل أن تقع فيه فتندم**)[٣].

إن القرارات الاجتماعية التي تخصّ الجماعة والأمة، تحمل المسؤول مسؤولية كبيرة، فهو ليس قراراً في مسألة فردية ليتعجل به من دون حزم وتروي، بل يتعلق بمصير الجماعة والأمة.

---

(١) بحار الانوار ٧١/ ٣٣٩.
(٢) بحار الانوار ٧٧/ ٢٣٨.
(٣) تحف العقول: ٢١٦.

ومن ثم يأمر أمير المؤمنين عليه السلام المسؤولين بالتدبر والتروي واستعمال الحزم قبل العزم والاقدام. يقول عليه السلام: (**التدبر قبل العمل يؤمنك الندم**)[١]. ومهما كثر حزم الإنسان قلّ ندمه.

وحقيقة الحزم: التدبر وإطالة النظر، والتفكير في العقبات وازالتها ومكافحتها، وحساب تبعات العمل وآثاره السلبية والايجابية.

وسلام الله على أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول - كما في الرواية -: (**الحزم بإجالة الرأي**).

وليس كل أحد يحسن الحزم والتفكير والتخطيط، فان الحزم صناعة وكفاءة عقلية وتجربة وخبرة، يكتسبها الإنسان بالتجربة والممارسة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (**الحزم صناعة**)[٢]، وهي كلمة دقيقة، فإن الصناعة مهارة، والمهارة لا تحصل بالتفكير فقط، وإنما بالفكر والممارسة والخبرة، وكذلك الحزم في الامور

---

(١) بحار الانوار ٧١/ ٣٣٨.

(٢) غرر الحكم/ ١٠٨٤٦.

السياسـية والاقتصـادية والثقافيـة والعسـكرية كفـاءات عقليـة وخبرة وممارسة.

وما أروع كلمة أمير المؤمنين عليه السلام في هـذا الأمـر: (**الظفـر بالحزم، والحزم بالتجارب**)[١].

وبالحزم يحفـظ الإنسـان نفسـه مـن التفـريط فـي الفـرص والإمكانات وما رزقه الله من المواهب.

يقول عليه السلام: (**ضادّوا التفريط بالحزم**)[٢].

أي كـافحوا التفـريط فـي الفـرص والإمكانـات بـالحزم والتروي والتفكير.

العنصر الثاني (الاستشارة)

والاستشارة تؤمن للقادة والمسؤولين أمرين:

تؤمن لهم كسب تجارب الآخرين وخبراتهم وافكـارهم، كما تؤمن لهم ثقة الناس بالقرار ودعمهم وتأييدهم للقرار.

---

(١) غرر الحكم/ ١٠٨٦٤.

(٢) غرر الحكم/ ١٠٨٥٣.

يقول تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ**﴾(١).

إنّ من أهم بركات الشورى ان يكسب القادة والمسؤولين وقوف الناس إلى جانبهم في السراء والضراء، لان الاستشارة تشعرهم بالمشاركة في صناعة القرار.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما كان يستشير أصحابه عن مسائل السلم والحرب: (**أما إنّ الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي. فمن استشار منهم لم يُعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيّاً**)(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (**من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها**)(٣).

---

(١) آل عمران/ ١٥٩ .

(٢) الدر المنثور ٢/ ٩٠ .

(٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار، الحكمة/ ١٦١ .

فالاستشارة تحفظ المسؤولين من الاستبداد في الرأي وتكسبهم دعم الناس وتأييدهم كما تكسبهم ثمرات عقول الآخرين وخبراتهم وتجاربهم.

وفي (الشورى) رأيان فقهيان، يشتركان في وجوب الاستشارة على أولياء الامور، ويختلفان في إلزام الشورى لولي الامر وعدمه. وأنا أميل إلى الرأي الثاني في هذه المسألة، فليس في أدلة الشورى ما يدل على اكثر من وجوب الامر بالشورى من قبل اهل الحل والعقد أو الذين يمثلون الناس، وليس في هذه الادلة ما يدل على وجوب الالتزام بالشورى بصورة قطعية من قبل ولي الامر.

وعندئذ يثار السؤال التالي: فما الجدوى من الشورى إذن؟

أقول: للشورى قيمة توجيهية بالتأكيد لاولياء الامور، فهي تنضج الرأي لأولياء الامور وتسددهم، وتقدم لهم النصيحة، وله الرأي بعد ذلك، ما لم يستبد برأيه فإذا استبدّ برأيه سقطت ولايته عن المسلمين.

ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١]، وهو كالصريح بأن العزم والقرار أخيراً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبد الله بن عباس، وقد أشار عليه برأي لم يوافقه فيه: (عليك ان تشير عليّ، فإذا خالفتك فاطعني)[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن العنصر الثاني من عناصر القرار: الشورى.

٦ـ العزم والإقدام والحسم:

إذا استكمل القرار الشرطين المتقدمين: (الحزم والشورى) يأتي دور العزم والإقدام والحسم. . وفي هذه المرحلة لابدّ ان يقدم المسؤول على تنفيذ القرار متكلا على الله من غير تردد ولا توقف ولا مراوحة.

---

(١) آل عمران/ ١٥٩ .

(٢) وسائل الشيعة ٨/ ٤٢٨، والكلمة موجودة في نهج البلاغة، قسم الحكم والكلمات القصار.

يقول تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ**﴾[١]، يعني أقدم على العمل متوكلاً على الله.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (**روِّ وتحزم، فإذا استوضحت فاعزم**)[٢].

والترديد والمراوحة في تنفيذ القرار من سوء الحزم، فإن الحزم في العزم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (**إن من الحزم العزم**)[٣].

وتفسير كلمة الإمام عليه السلام: إن من التدبير والحزم الإقدام والعزم، والتردد والمراوحة يكشف عن عجز في الحزم.

فإن المريض إذا تأكّد بعد الاستشارات الطبية ان صلاحه في إجراء العملية الجراحية، لابد ان يقدم على العمل، والتردد والمراوحة في ذلك من سوء الحزم وسوء التدبير.

فإذا ضعف الحزم ضعف العزم، وبالعكس إذا قوي الحزم

---

(١) آل عمران/ ١٥٩ .
(٢) بحار الأنوار ٧١/ ٣٤١ .
(٣) بحار الأنوار ٧٧/ ١٦٥ .

قوي العزم كذلك.

ويؤكد هذه الحقيقة ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: (**من قلّ حزمه ضعف عزمه**)(١).

فلا يصح التردد والتوقف اذا استكمل الإنسان شروط القرار الصحيح.

وعليه الحسم الإقدام والقطع، وأن لا يتراجع بعد مرحلة الحزم. فإذا وجد إنّ الموقف لا يتحمل التأخير، فعليه بالتوكل والمبادرة الفورية قبل ضياع الفرصة.

ومن الشواهد على ذلك ما قام به طارق بن زياد عندما ولاه موسى بن نصير طنجة، حيث جمع معه البربر ثم أمره باجتياز البحر وتحرير الأندلس.

فاجتاز طارق بن زياد البحر بمن معه من البربر، ثم أمر بحرق السفن من ورائهم وإهلاك الطعام الذي معهم إلاّ طعام يوم واحد.

كانت أسبانيا في وقتها مستعمرة يونانية وكان الملك

---

(١) ميزان الحكمة ١ / ٦٠٥ .

يومئذ لودريق (لودريك)، فلما أقبل عليهم لودريك بجيش كبير، خطب طارق بن زياد في جيشه، وقال لهم: (أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم، والعدو أمامكم فليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر، واعلموا إنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللئام، وقد أستقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، واقواته موفورة وانتم لا ردء لكم غير سيوفكم، ولا أقوات لكم غير ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم)[١].

فلما برز الصفّان عرف طارق بن زياد لودريك، وقصده بمن معه فتفرق عن لودريك الجيش فقتله طارق. والتحم الجيشان ووقعت الهزيمة في جيش المشركين، وتم لجيش المسلمين الفتح.

وأخذ طارق يتقدم المدينة بعد الأخرى دون أن يستطيع أحد مقاومته حتى وصل إلى الساحل الآخر الشمالي للمحيط الأطلسي (خليج بسكاي).

واستقرت بها دولة وحضارة إسلامية أذهلت أوربا في

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥: ٣٢١.

العلوم والآداب والفنون.

٧ـ المؤمن بين الفطنة والتغافل

يقع المؤمن بين هذين الموقعين (الكياسة والحذر والفطنة من جانب والتغافل من جانب آخر).

ولا تخالف ولا تناقض بين هاتين الخصلتين، بل الأمر بالعكس، هاتان الخصلتان كل منهما يكمّل الآخر، ويتكاملان.

وسوف نتوقف قليلاً عند شرح هذه النقطة.

ونبدأ بالنقطة الأولى: المؤمن يتصف بالحذر والكياسة والفطنة، ولا يكون غافلاً ولا مغفلاً.

وقد ورد في الحديث «**المؤمن كيّس فطن**»[١].

وليس معنى ذلك أن خلق المؤمن وتكوينه يختلف عن الآخرين، فيخلق الله المؤمنين كيّسين، ويخلق غيرهم من غير كياسة.

فقد يكون المؤمن في التكوين أقل كياسة وفطنة من

---

(١) بحار الأنوار ٦٤: ٣٠٧ ح ٤٠.

منافق أو كافر، ويكون الكافر والفاسق أكثر كياسة وفطنة في الخلق من المؤمن... وهو يتفق كثيراً.

وإنما معنى هذه المقولة أن المؤمن يكتسب الكياسة والحذر والفطنة في حياته وسلوكه، لأن المنهج التربوي في الإسلام يوجه المؤمنين باتجاه الكياسة والفطنة والحذر في تعليماته، ولأن طبيعة مسؤولية المؤمنين وحضورهم في ساحة المواجهة والصراع تتطلب منهم الحذر والكياسة والفطنة.. فإن من يتحرك في ساحة الصراع والقتال لابد له من الحذر والانتباه ولحظة غفلة وإهمال كافية للقضاء عليهم.

وبذلك فإن معنى أحاديث من قبيل (**المؤمن كيّس فطن**) أو (**المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف**)[١]: إنَّ المؤمن يروض نفسه لاكتساب خصال الفطنة والحذر والقوة.

وفيما يلي أذكر طائفة من صفات المؤمنين، وأقصد بها الصفات التي يكتسبها المؤمن بالجهد والمحاولة والممارسة.

روى البرقي في المحاسن عن عبد الله بن يونس، قال: قام

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢: ٢١٨ ح٦٦٧٣.

رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا صفة المؤمن كأننا ننظر إليه، فقال عليه السلام: (**المؤمن هو الكيس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً، وأذلّ شيء لقاءً، زاجر نفسه عن كل فان، خائض الغمرات على كل خير، لا حقود، ولا حسود، ولا وثّاب، ولا سبّاب، ولا عيّاب، ولا غيّاب، ولا مرتاب، يكره الرفعة، ويشنأ السمعة، طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، ذكور، وقور، صبور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقة، ليّن العريكة، رصين الوفاء، قليل الأذى، كثير الرحمة، لا متأفّك ولا متهتك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسّم، واستفهامه تعلّم، ومراجعته تفهّم، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا يبخل، ولا يعجل، ولا يضجر، ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع، ولا هلع، ولا عنت، ولا**

صلف، ولا متكلّف، ولا متعمّق، جميل المنازعة، كــريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلــب، لا متهــوّر، ولا متهتك، ولا متجبر، خالص الودّ، وثيق العهد، وفــيّ العقد،، شفيق، وصول، حليم، خمول، قليــل الفضــول، راض عن الله عز وجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ناصر للدين، محام عن المؤمنين، كهف للمسلمين، لا يخرق الثناء ســمعه، ولا ينكأ الطمع قلبه، ولا يصرف اللعب حكمــه، ولا يطلــع الجاهل علمه، قؤول عمّال، عالم حازم، لا فحّــاش ولا طيّاش، وصول في غير عنف، بذول في غيــر ســرف، لا حكّار ولا غدّار، لا يقتفي أثراً، ولا يحيف بشــراً، رفيــق بــالخلق، ســاع فــي الأرض، عــون للضــعيف، غــوث للملهوف، لا يهتك ستراً،ولا يكشف سراً، كثير البلــوى، قليل الشكوى.

إن رأى خيراً ذكره، وإن عــاين شــراً ســتره، يســتر العيب ويحفظ الغيب، ويقيــل العثــرة، ويغفــر الزلــة، لا

يطّلع على نصح فيذره، ولا على فحش فيهمّ، أمين، رصين، تقي، نقي، زكي، وفيّ، رضيّ، يقبل العذر، ويجمل الذكر، ويحسن بالناس الظن، ويتهم على العيب نفسه. .)[١].

هذه طائفة من أوصاف المؤمنين وخصالهم من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو حديث طويل أخذنا طرفاً منه.

ونرجو أن يتوفر بعض علمائنا لشرح هذه النقاط المضيئة في كلمات الإمام في وصف المؤمنين وليست هذه الصفات موجودة في المؤمنين في أصل الخلقة، وإنما هي خصال يكتسبها المؤمن بجهد ومعاناة وممارسة وترويض للنفس.

عود إلى الحديث عن الغفلة والتغافل:

ونتوقف عن الاسترسال في هذا المعنى، ونعود إلى ما كنّا بصدده، فأقول:

يقع المؤمن بين موقعين: موقع الكياسة والحذر واليقظة

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة ١١ / ١٦٤ .

من جانب، والتغافل من جانب آخر.

أولهما الفطنة والحذر والكياسة، ودقة النظر، والانتباه، وهذا هو الموقع الأول.

والموقع الثاني (التغافل)... والمؤمن يقع بين (الفطنة والحذر والانتباه) من جانب، و(التغافل) من جانب آخر.

وقد ورد في الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**صلاح التعايش والتعاشر ملاء مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل**»[1].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**المؤمن نصفه تغافل**»[2].

والتغافل غير الغفلة... وما يجب أن يبرأ منه المؤمنون هو الغفلة وما ينبغي أن يتحلى به المؤمنون التغافل، وليس من الحذر والانتباه والفطنة أن يواصل الإنسان التحذير والتنبيه والعتاب والمؤاخذة للناس على غفلاتهم وسقطاتهم... فإن هذا النوع من السلوك من ناحية المسؤولين سرعان ما يفسد

---

(١) تحف العقول: ٣٥٩. نقلاً عن ميزان الحكمة.
(٢) شرح دعاء مكارم الأخلاق للشيخ محمد تقي فلسفي ١: ٤٩٤.

العلاقة بينه وبين الناس، فيخسرهم.

والموازنة الصحيحة بين الفطنة والكياسة من جانب، والتغافل من جانب آخر هو ما ورد في الحديث من الموقع الوسط بين الفطنة والتغافل، فيكون شطر من علاقاته وملاحظاته قائمةً على الفطنة والحذر والشطر الآخر من علاقاته وملاحظاته قائمةً على التغافل والتجاهل، (وليس الغفلة والجهل).

فليس من الصحيح أن تكون علاقاته وملاحظاته كلها قائمة على أساس التنبيه والتذكير والمتابعة والملاحظة والتوبيخ والعتاب.. فإن ذلك سوف يخسره شطراً من أصدقائه والمتعاملين معه،وعلاقاته الاجتماعية والإدارية.

وليس من الصحيح أن يبني علاقاته ومسؤولياته معاً على الإهمال والمسامحة في الأخطاء والتخلفات، فإن ذلك سوف يفقده السيطرة على دائرة مسؤولياته.

والصحيح بينهما الموقع الوسط، بين الفطنة والتغافل، والمؤاخذة والمسامحة المبنية على التغافل.

والمسامحة المبنية القائمة على التغافل أفضل من

المسامحة بعد المحاسبة في بعض الأحيان.

إن الإنسان إذا أحصى على أصحابه وأصدقائه وزملائه ومن يقع في دائرة مسؤولياته كل أخطائهم وزلاتهم وسقطاتهم، وحاسبهم حساباً عسيراً صارماً لا يسلم له صديق ولا علاقة، ولا يبقى لديه من يخلص له في عمله إلاّ قليلاً.

عن أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي لشيء فعلته : لما فعلت، ولا لشيء لم أفعله لِم لَمْ تفعله، ولا قال في شيء كان: ليته لم يكن، ولا في شيء لم يكن: ليته كان، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله، يقول: دعوه، لو قضى شيء لكان[1].

إن الإكثار من اللوم والعتاب والملاحظة والمؤاخذة في علاقات العمل، وفي علاقات الحياة العامة يفرّق الناس من حول الإنسان، ويكرّه الإنسان إليهم... فلابدّ في كثير من الأخطاء والزلاّت الصغيرة استخدام حالة التغافل، وهو أجدى وأنفع في معالجة الكثير من الأخطاء.

---

(١) جامع السعادات للنراقي ٣: ١٦٢.

وقد روي (**أن التغافل أحد الاحتمالين**)... ومعنى ذلك أن هناك بأزاء المسؤولين احتمالين، يجب عليهم احتمال أحدهما، وكل منهما يتطلب جهداً نفسياً وعملياً:

الاحتمال الأول: المحاسبة والتنبيه واللوم والعتاب في كل زلة ومخالفة، وهو (احتمال) لاشكّ يتطلب جهداً نفسياً وعملياً، و(الاحتمال) الآخر هو التغاضي والتغافل عن السقطات والزلات الصغيرة، وهو يتطلب أيضاً جهداً نفسياً بلا شك، فإن التغافل عما يعلمه الإنسان ويلاحظه من الأخطاء لا يقلّ عن معاناة المحاسبة والمؤاخذة.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن العاقل نصفه احتمال ونصفه تغافل**»[1].

ومعنى ذلك أن المؤمن يتحمل طائفة من أخطاء أصحابه. وهذا هو الشطر الأول من تعامله مع الآخرين، والشطر الثاني هو التغافل.. وهو يقع بين تحمّل أخطاء الآخرين والتغافل

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٨٤.

عنهم.

وليس معنى التحمّل في الشطر الأول التغاضي والمسامحة دائماً، فقد يقتضي الأمر التغاضي والمسامحة، وقد يقتضي الأمر المحاسبة والمؤاخذة، ولكنه على كل احتمال وتحمّل، والشطر الآخر هو التغافل.

ومن وصايا علي بن الحسين صلى الله عليه وآله لابنه محمد الباقر عليه السلام: «**اعلم يا بني، صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش، ملأ مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلاّ عن شيء قد عرفه وفطن له**»[1].

والنقطة التي يشير إليها الإمام عليه السلام دقيقة، فإن التغافل يتطلب الوعي والانتباه، فإن الإنسان لا يتغافل إلاّ من شيء لاحظه وانتبه إليه.

وإذا فقد المؤمن دقّة الملاحظة والانتباه فيما حوله، فلم ينتبه فتلك غفلة وجهل، وليس من التغافل في شيء، ولا قيمة

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٩٢.

له.

وإنما قيمة التغافل أنه مسبوق بالملاحظة والانتباه.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**صلاح شأن الناس (في) التعايش، والتعايش مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل**»[١].

٨ـ الرأي والموقف

ليس للرأي المجرد عن الموقف والحركة قيمة كبيرة عند الله تعالى، وليس له دور في التاريخ في الهدم والبناء، في هدم الباطل وبناء الحق، فإذا تحول الرأي إلى موقف وحركة وعمل، باتجاه التوحيد والعدل والدعوة إلى الله، وتحرير المستضعفين من الناس... عندئذٍ يكون للرأي قيمة عند الله، ودور في التاريخ.

كثيرون من الناس كانوا يعتقدون أن بني أمية في فسادهم وظلمهم وترفهم وإسرافهم في دين الله وفي دماء المسلمين وأموال المسلمين على باطل، وأن الحسين عليه السلام على حق... ولكن لا نجد لهذا الرأي دوراً ولا قيمة ولا تأثيراً في نقض

---

(١) بحار الأنوار ٧٤: ١٦٧.

حكومة بني أمية وتأسيس الحق والعدل.

أما النفر القليل الذي وقف مع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وحولوا الرأي إلى موقف وحركة وتضحية... هؤلاء هم الذين ارتضاهم لله تعالى واجتباهم وهم الذين غيروا وجه التاريخ، وكشفوا القناع عن وجه بني أمية، وحاربوا الباطل ووقفوا مع الحق، وبصروا الأجيال، وحفظوا الإسلام من حملة التشويه الأموية.

وهذا هو ما ذكرنا من أن الرأي المجرد عن الموقف والحركة لا قيمة كبيرة له عند الله، ولا دور مؤثر في التاريخ.

٩ـ القرار والموقف بين المرونة والحدية

عرفنا أن قيمة الرأي بـ (الموقف).

والآن نتساءل ما هي حدود الموقف؟

يحمل (الموقف) بالتأكيد حالة من الحدية، ومن دون الحدية القوية، لا يكون الموقف موقفاً.. وإنما يكون (مذبذباً)، والمواقف المذبذبة لا قيمة لها، كما لا قيمة كبيرة للرأي المجرد عن الموقف.

لقد حمل أبو طالب (رضوان الله عليه) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

رسالة من عتاة قريش، طلبوا منه إبلاغها إلى رسول الله ﷺ.

عرضت قريش على رسول الله ﷺ أن يكف عن رسالته، فيمنحونه من أموالهم وجاههم وعشيرتهم ما يغنيه، ويحقق له كل ما يطلب من الدنيا.

فأرسل إليهم رسول الله ﷺ عمّه أبا طالب رضوان الله عليه بالجواب قائلاً:

«يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»[1].

نزل يحيى بن زيد بن علي رضوان الله عليهم بـ(بلخ) هارباً من بني أمية، فنزل هناك على (الحريش بن عبد الرحمن الشيباني) فلم يزل عنده حتى هلك هشام بن عبد الملك - لعنه الله - وولي الوليد بن يزيد، فكتب إلى نصر بن سيار، وهو عامله على خراسان، حين أخبر أن يحيى بن زيد

(١) الغدير ٧: ٣٥٩.

نازل بها، وقال: ابعث إلى الحريش حتى تأخذ يحيى أشدّ الأخذ، فبعث نصر إلى عقيل بن معقل الليثي، وهو عامله على بلخ: أن يأخذ الحريش فلا يفارقه حتى تزهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد، فدعى به فضربه ستمائة سوط، وقال: (والله لازهقن نفسك أو تأتيني به). فقال: (والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه فاصنع ما أنت صانع)[1].

وعرض عبد الرحمان بن عوف الخلافة يوم الشورى على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قبل أن يعرضها على عثمان بن عفان، فقال له: أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الشيخين.

فأبى أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ أن يسير طبقاً لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما سيرة الشيخين فله رأيه فيها إذا طابقته أو خالفته، ورفض الخلافة كلها من أجل هذه الكلمة[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين، ص ١٠٥ لأبي الفرج الاصبهاني، ط ١٣٨٥/ ١٩٦٥ النجف الاشرف.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ١٨٨.

هذه هي **الخصلة الأولى** للقرار والموقف، وهي الحدّية.

والخصلة الثانية لهما: المرونة.

لقد تنازل رسول الله ﷺ في (أحُد) عن رأيه لشباب الصحابة، عندما أصرّوا عليه بالخروج عن المدينة لمقابلة المشركين، لئلا يكون في ذلك وهن وضعف على المسلمين، فقبل رسول الله ﷺ رأيهم على مضض... وكانت النتيجة النكسة المرّة التي أصابت المسلمين في (أحُد) ولكن رسول الله ﷺ آثر أن يأخذ برأي أصحابه، ولا ينفرد عنهم بالقرار، وتحمل النتائج المُرّة التي ترتّبت على ذلك.

وأمير المؤمنين عليه السلام الذي عرفنا رأيه في سيرة الشيخين، وامتناعه من قبول الخلافة إذا كانت مشروطة بسيرة الشيخين، لم يغير إقامة صلاة التراويح جماعة التي أمر بها الخليفة الثاني، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد صلوها من قبل على نحو الانفراد، فلم يُعد أمير المؤمنين عليه السلام صلاة التراويح إلى الحالة التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ.

إن لكل من الحدية والمرونة موضع في القرار والموقف، والموازنة الدقيقة بينهما، وتشخيص موضع كل منهما هو من

شأن الحاكم والمسؤول، والعقل الإداري والقيادي هو الذي يحدد موضع كل منهما من القرار والموقف.

ومن دون ذلك قد يتحول القرار والموقف إلى حالة من الانتحار السياسي والإداري.

١٠ـ الانضباط الأمني والسياسي

عاش اتباع اهل البيت عليهم السلام في أيام بني امية وبني العباس ظروفاً سياسية قاهرة، وتحديات أمنية صعبة.. وقد كان شيعة أهل البيت عليهم السلام هم المعارضة القوية الواسعة في الساحة الإسلامية يومذاك. ولولا هذه المعارضة السياسية والثقافة لم يسلم من الإسلام شيء في أيام بني أمية وبني العباس، ما عرف الناس عنهم من الظلم والإفساد والإسراف وتغيير معالم دين الله عن مسير الوحي... وأما سائر المعارضات فقد أخلت الساحة لبني أمية وبني العباس، ولم يكن لها دور أساسي، كما فعلت الخوارج، فقد كانت مواقفهم الانفعالية غير العقلائية، سبباً للقضاء عليهم وإخلاء الساحة السياسية منهم في التاريخ.

ولذلك كان اتباع أهل البيت عليهم السلام يعيشون دائماً ظروفاً أمنية صعبة جداً من ناحية حكام بني أمية وبني العباس،

وكانت هذه الظروف تهدد كيانهم الثقافي والسياسي والحركي بصورة جدّية.

ولولا التعليمات الأمنية الصادرة من أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم لم يبق لشيعة أهل البيت عليهم السلام دور وأثر في التاريخ ولا في الحاضر.

وكانت هذه التعليمات تدعوهم إلى المحافظة على أسرار (جماعة أهل البيت وشيعتهم)، وتنظيماتهم ومراكز تواجدهم، وجباياتهم للأموال، وشبكة الوكلاء التي كانت تنظم علاقة شيعتهم بهم من مختلف البلاد يومذاك، وتنظم شبكة دعاة أهل البيت عليهم السلام في خراسان، وآسيا الوسطى، والمغرب العربي في إفريقيا... ولقد اتسعت شبكة حركة اتباع أهل البيت عليهم السلام ونشاطهم اتساعاً كبيراً وشملت مساحات واسعة من أقاليم الفتح الإسلامي.. ولم تكن السلطة يومذاك مغفلة عما يجري على الأرض الإسلامية من نشاط واسع وحركة واسعة لاتباع أهل البيت عليهم السلام إلاّ أن السرية الصارمة، والتعليمات الأمنية الدقيقة كانت تحفظ شيعة أهل البيت عليهم السلام من فتك الحكومات المحلية والمركزية.

ولقد كانت تعليمات أهل البيت عليهم السلام في الانضباط والأمن

دقيقة جداً، تمنع من إذاعة أسرار الجماعة، ومراكز تواجدهم، ووجوه نشاطهم، وتمنع من لغو الكلام والثرثرة حتى في أوساطهم، وتمنعهم من الطيش والانفعال في الحديث عن شيعة أهل البيت، لئلاّ يجرهم الانفعال والطيش والكلام اللاّمسؤول إلى إذاعة أسرار هذه الجماعة، عندما يأخذهم الاندفاع في التنويه بهم ونشاطهم، والاعتزاز بمواقعهم وعملهم وإنجازاتهم.

فإن الاندفاع في الحديث عن الانجازات الحركية والثقافية والسياسية لاتباع أهل البيت عليهم السلام وانتشارهم في البلاد البعيدة كان يؤدي أحياناً إلى إذاعة أسرار وكلاء أهل البيت عليهم السلام ودعاتهم وشبكاتهم التنظيمية.

وفيما يلي نذكر طائفة من هذه التعليمات:

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**امتحنوا شيعتنا عند مواقيت الصلاة، كيف محافظتهم عليها، وإلى أسرارنا، كيف حفظهم لها عند عدونا**»[1].

---

(١) بحار الأنوار ٦٨: ١٤٩.

هـذان اختبـاران لشـيعتهم: أداء الصـلاة عنـد مواقيتهـا، والاهتمام بأمر الصلاة، وعدم التهاون فيها، ثم يأتي بعد ذلـك مباشرة المسألة الأمنية.

الصلاة أولاً والأمن ثانياً، وهي ملاحظة جـديرة بالاهتمـام في موقع الأمن والانضباط في الجماعة.

وكـان الإمـام الصـادق عليه السلام يعلـن انزعاجـه وغضـبه علـى أولئك الذين يهتكون أسرار شيعة آل محمـد صلى الله عليه وآله وسلم وشـبكاتهم وقياداتهم وجباياتهم، ويعلن تشكيكه في صدقهم في الانتماء إلى هذه الجماعة.

فإن أبرز خصائص هـذه الجماعـة بعـد الصـلاة الانضـباط الأمني.

فكان عليه السلام يقـول: «**قوم يزعمون أني إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام، كلما سترت ستراً هتكوه**»[١].

وهؤلاء الناس غير المنضبطين أمنياً والذين كانوا يهتكـون أسـرار جماعـة أهـل البيـت عليهم السلام وشـيعتهم قـد يكونـون مـن

(١) بحار الأنوار ٢: ٨٠.

العناصر الأمنية المتسللة من الأمن الحكومي داخل الجماعة، وقد يكون هؤلاء من غلاة الشيعة الذين كانوا يحملون أهل البيت عليهم السلام ما لا يؤمنون به ولا يقولون، بل ما يرفضونه رفضاً قاطعاً، هذه الشريحة المغالية كانت من مصائب أهل البيت عليهم السلام، كانوا يعلنون براءتهم منهم ومن أفكارهم ومن تصرفاتهم.. ويرفضونهم، ويبدو أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يشكون شكا قوياً في صدقهم، ويعتقدون أنهم حالة اختراقية من عناصر بني أمية وبني العباس الأمنية تمكنوا بالوسائل الأمنية من اختراق الجماعة والدخول في تنظيماتهم وأشاعوا في صفوفهم أفكاراً من الغلو في أهل البيت عليهم السلام. كان أهل البيت يعلنون رفضهم لها ويحاربونها، ويلعنون أصحابها.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**وددت والله إني افتديت خصلتين في الشيعة ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلة الكتمان**»[1].

---

(١) الكافي ٢: ٢٢١.

والنزق: الطيش والانفعال، وقلة الكتمان معروف.

وقد كان سبب النزق والانفعال: هو انتشار جماعات أهل البيت عليهم السلام في البلاد ونشاطهم وحركتهم السرّيّة، بعد مصرع الحسين عليه السلام في كربلاء، فكان الحديث يجري في أوساط هذه الجماعة بعد تلك المجازر عن توسع مساحة حركة شيعة أهل البيت عليهم السلام ووكلائهم ودعاتهم، وكان هذا الحديث لا يخفى عن عيون بني أمية، فيكشفون بذلك تنظيماتهم، ولا سيما في مواعيد الحج، حيث يجتمع زعماء الشيعة في مكة ومنى بالإمام زين العابدين عليه السلام، فيحذر عنه الإمام شيعته، كما يحذرهم من قلة الكتمان... وقد كانت الكلمة الواحدة اللاّمسؤولة كافية لإراقة دماء المؤمنين، وتخريب بيوتهم، وتشريدهم، وتمنى الإمام عليه السلام أن يفتدي هاتين الخصلتين من شيعته ببعض لحم ساعده.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام لسليمان بن خالد: «**يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله**»[1].

---

(١) الكافي ٢: ٢٢٦.

إن عزة هذا الدين وأهله في التقية والكتمان، ومذلة المؤمنين في إذاعة أسرارهم. فمن أراد عزّة هذه الجماعة فليبالغ في المحافظة على أسرارهم.

بهذه التعليمات الأمنية الصارمة اتسعت رقعة شيعة أهل البيت عليهم السلام في أقطار الفتوحات الإسلامية، وحملت معها ثقافة الوحي النقية الصافية التي حملها أهل البيت عليهم السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيلاً بعد جيل وكابراً بعد كابر.. ولم يتمكن حكام بني أمية وبني العباس بما عرف عنهم المسلمون من الظلم، والإسراف، والإفساد، واللهو، والسكر، والفاحشة التي عرف بها بعضهم علانية، أن يغيروا مجرى هذا الدين عن صراط الوحي وتعليمات كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام، بفضل هذه المرابطة على حدود الله من قبل أهل البيت عليهم السلام.

١١ـ الاتزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات

وهي حالة الاستقرار والثبات النفسي أزاء عوامل الإثارة الخارجية القوية التي تواجه الإنسان.

وقد ورد في خطبة المتقين لأمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقين:

«**في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور**»[1].

والوقار في الزلازل، هو أن لا يهتزّ المؤمن بين يدي الحوادث التي تزلزل نفوس الناس، ويحافظ على ثباته واستقرار سلوكه النفسي ووقاره، مهما كانت هذه الزلازل.

وفي المكاره صبور، فلا يجزع ولا يغلبه الحزن.

وفي الرخاء شكور، لا يصيبه البطر والرئاء.

وليس معنى ذلك بلادة الحس تجاه الأحداث التي تحلُّ بالإنسان، فلا يتأثر بها، وإنما معناه الاستسلام الباطني الكامل لله تعالى، في كل ما ينزل عليه من جانب الله.

إنه حالة الاطمئنان الكامل إلى قضاء الله وقدره، وأنه تعالى لا يريد به في كل ما ينزل عليه من قضاء وقدر إلاّ خيراً، وقد ورد في الدعاء: «**واجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك**»[2]، فلا يجزع، ولا يخاف، ولا يحزن، ولا

(١) نهج البلاغة ٢: ١٦٤.

(٢) مصباح المتهجد: ٧٢٨. من زيارة (أمين الله).

يقلق حيث يجزع الناس ويخافون ويحزنون ويقلقون، وهو أمر آخر غير بلادة الحس، كما ذكرنا، بل يتمتع أصحابها برهافة الحس، بشكل كامل، ولكن سلوكهم النفسي يبقى مستقراً ثابتاً، لا تطرأ الانفعالات الحادة عليه، كما تصيب الناس.

ولا يتملكه الموقع والمنصب، ولا يوحشه لو جرّد من كل ما أوتي من المواقع والمناصب والأموال. لا يغتر بتحشد الناس حوله ولا يوحشه انفراط الناس من حوله.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عنّي وحشة**»[1].

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي (رضوان الله عليه): «**واعلم بأنه لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا انك رجل سوء لم يحزنك ذلك، أو قالوا أنك رجل صالح لم يسرك ذلك**»[2].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣٦.
(٢) تحف العقول: ٢٩٢.

١٢ـ ترك الإنسان ما لا يعنيه

الإدارة اختصاص، واعتناء.

ومعنى الاختصاص أن يتفرغ لما يختص به من الأمور فلا يتدخل المسؤول الصحي في الشؤون العلمية والجامعية ولا يتدخل مدير الجامعة في شؤون المحروقات... لكل اختصاصه في دائرة عمله، وتتوزع الأمور على المسؤولين حسب اختصاصهم.

ومعنى الاعتناء أن يهتم المسؤولون بما يعنيهم، وما ينبغي أن يدخل في دائرة اهتماماتهم، فإذا تجاوز المسؤولون دائرة اعتناءاتهم وانشغلوا بما لا يعنيهم، ولا ينفعهم في دنيا ولا آخرة، تحولت حياتهم من إنتاج إلى استهلاك...

إن الجهد الإداري في دائرة الاختصاص والاعتناء إنتاج، والجهد الذي يبذل خارج هذه الدائرة استهلاك وعلى المسؤولين أن يحترزوا حالة الاستهلاك في جهودهم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني رحمه الله: «**واقصر**

رأيك على ما يعنيك»[(١)]، فإذا قصر المسؤول رأيه وعمله فيما يعنيه ويهمّه (موضع الاهتمام والاعتناء في عمله)، واحترز عما لا يعنيه كان رأيه وعمله منتجاً، وفي غير هذه الحالة يكون رأيه وعمله من استهلاك الرأي والجهد.

عن رسول الله ﷺ: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[(٢)].

إن الدخول في ما لا يعني الإنسان محرقة للعمر والجهد.. والإسلام يُحمّل الإنسان مسؤولية كل أيام عمره، وكل جهده، وشبابه. فليس له جهد فائض ولا عمر فائض يضعه في غير موضع الحاجة والضرورة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: (**من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه**)[(٣)]، وهو كلام دقيق.

إنّ الذي يشتغل بما لا يعنيه ولا يهمّه، يفوته ما يهمّه

(١) نهج البلاغة: عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر.
(٢) المحجّة البيضاء ٥: ٢٠.
(٣) مائة كلمة للامام علي عليه السلام بشرح ابن ميثم.

وينفعه بالضرورة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: (**الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كفيت**)[١]. إن العقل والرشد والصواب ان يحفظ الإنسان ما يكون مسؤولاً عنه، ويترك ما يكفيه الآخرون مما لا يتحمل مسؤوليته.

وعن أبي ذر رحمه الله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن، ثقيل في الميزان؟** قلت: بلى يا رسول الله. قال: **هو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك**»[٢].

افتعال الأحداث

هناك مؤسسات إعلامية كبيرة عملها الرئيسي تشويش آراء الناس وافتعال الأحداث من خلال الضجيج الإعلامي.

هذه المؤسسات الإعلامية متخصصة في افتعال الأزمات

---

(١) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٨٧٧ .

(٢) جامع السعادات ٢: ١٤٥.

لإشغال الرأي العام وإلهائه عن الاهتمامات الحقيقية للأمّة.

والأمة يجب أن تواجه هذه الأحداث المفتعلة بوعي وحذر وتتجنّب الدخول فيها حتى لا تنشغل بها عن قضاياها المصيرية.

وعلى المسؤولين أن يحذّروا الناس عن هذه القضايا التي لا تعنيهم لئلا تجد هذه المؤسسات الإعلامية فرصة لافتعال الأزمات والأحداث المفتعلة.

إنّ إقبال الناس والرأي العام على هذه الأزمات المفتعلة إمارة الفراغ الفكري والسياسي والثقافي في حياة الناس.

يقول تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا**﴾[1]، إن عباد الرحمن يتميزون بالانشغال بالاهتمامات الحقيقية، ولا يشغلهم اللّغو والبطر الفارغ من حولهم.

يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾[2].

---

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) القصص/ ٥٥.

١٣ـ التنظيم والتخطيط

من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين صلى الله عليه وآله:

«أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم»[١].

التقوى والنظم عاملان أساسيان في سلامة المجتمع.

التقوى تحصّن المجتمع من الداخل، وتحفظ حدود الله سبحانه وتعالى بين الناس، والنظم يحفظ الأولويات في العمل، ويحفظ جهد الناس من الإهدار، ويؤمن الحاجات الأساسية في المجتمع، ويحقق الإنتاج الكثير بأقل الجهد والزمن، ويطور حركة المجتمع.

والنظم مسألة ضرورية لكل جوانب حياة الإنسان، حتى في حياته الشخصية، ولا تختص بالجانب الإداري من المجتمع... وعلى المسلم أن ينظم حياته ووقته بين العمل والعبادة والراحة والنوم والاهتمام بشؤون البيت والعائلة حتى

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٧٦ الكتاب ٤٧.

تنتظم حياته الشخصية.

والتخطيط نحو من التنظيم للمشاريع الكبيرة قبل البدء بها. وعناصر التخطيط تحديد الغايات والأهداف ووضع البرامج العملية للوصول إلى الغايات والأهداف، ضمن مراحل من العمل.

والتخطيط الواقعي الدقيق يأخذ بنظر الاعتبار دور الزمان في إنجاز المشروع والإمكانات اللازمة له والعقبات التي تعيق العمل، والطريقة الصحيحة لمواجهة العقبات...

وهذا هو معنى التدبير والعلم والحيلة على لسان النصوص الشرعية.

عن رسول الله ﷺ: «**يا ابن مسعود إذا عملت عملاً، فاعمل بعلم وعقل، وإياك أن تعمل بغير تدبير، وعلم، فإنه جلّ جلاله يقول: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً﴾**»[1].

قالوا: إن امرأة حمقاء في مكة كانت تغزل الصوف ثم

---

(١) بحار الأنوار ٧٤: ١١٠.

تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً. فضرب الله بها مثلاً للذي يحبط حسناته بالسيئات.

وكذلك العمل إذا لم يكن عن تدبير وتخطيط يكون هذا شأنه، نقض بعد غزل، وهدم بعد بناء.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إمارات الدول إنشاء الحيل**»[1].

إن التدبير الصحيح والحيل الصحيحة تحفظ الدول وتبقيها.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضا: «**التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم**»[2]. وإنما يندم الإنسان على جهده وعمله، حيث لا يسبق جهده وعمله التدبير والتخطيط الصحيح.

فإذا أعطى الإنسان المشروع اهتماماً في التخطيط والتدبير قبل العمل، بشكل موضوعي وعلمي، وفكّر في كل جوانب العمل لم تواجهه العقبات، إنما يُفاجَأ الإنسان بالعقبات إذا لم

---

(١) ميزان الحكمة ٢: ٥٥١.

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ٣٣٨.

يخطط من قبل لمواجهتها، ولم يأخذها بنظر الاعتبار.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من قعد عن حيلته أقامته الشدائد**»[١].

ولربما يغني التخطيط الصحيح عن الإمكانات والآليات الكثيرة، وفي ذلك يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«**التلطف في الحيلة أجدى من الوسيلة**»[٢].

والتلطّف في الحيلة هو التخطيط العلمي الصحيح.

وليس من عمل ولا مشروع إلاّ وقد جعل الله السبيل إليه التخطيط والتدبير السليم والحيلة المناسبة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**لكل شيء حيلة**»[٣].

ويقول عليه السلام: (الحيلة فائدة الفكر)[٤]. إنّ الله تعالى إنما رزق عبده الفكر ليستثمره في التنظيم والتخطيط والتدبير.

---

(١) غرر الحكم ٢: ٢٠٦.

(٢) غرر الحكم ١: ١٠٧.

(٣) بحار الأنوار ٨: ٤٤.

(٤) غرر الحكم/ ١٠٢٩٩.

١٤ـ سعة الصدر

وهو من أهم الآليات الإدارية والقيادية. وسلام الله على أبي الحسن أمير المؤمنين عليه السلام، كان يقول: «**آلة الرئاسة سعة الصدر**»[١].

وسعة الصدر تعني الصبر تجاه المشاكل والتحديات، والسيطرة على النفس في حالات الانفعال والغضب، وفي حالات الفرح والتوفيق، والحلم، وهي حالة استيعاب للمشاكل والمتاعب والتحديات التي تواجه العاملين من ناحية الآخرين.

ومثل النفوس مثل الأواني الكبيرة التي لا تفيض ولا تضيق ولا تتلوث بما فيها، بعكس الأواني الضيقة، فإنها تفيض وتضيق وتنفعل بما فيها، فإذا ألقى فيها ماء آسن، وقذر ظهر عليها... ويلقى نفس القذر، والماء الآسن في البحر والنهر، فلا يبقى منه أثر بعد لحظات، ويستهلكه ماء البحر... وكذلك شأن الصدور الواسعة تستهلك عوامل الغضب

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٦، وغرر الحكم/ ٧٨٢٥.

والانتقام والانفعال، رغم وجود الإثارات القوية والشديدة.

وكما تقاوم الصدور الواسعة عومل الغضب والانتقام والانفعال وتحتويها، وتواجهها بالصبر والحلم، والتعقل، فلا يطفح بها، ولا تتأثر بها، كذلك تقاوم عوامل الانفعال من النوع الآخر، وهي الانفعال تجاه التوفيق والنجاح والفوز، فلا يغلبهم الفرح والحبور، وما يجر إليه من البطر والرئاء والزهو والغرور عادة، فإن وعاء النفوس والصدور إذا اتسعت لا تضيق بهذا ولا ذاك، وتستوفي كلا منهما، وهاتان الخصلتان وجهان لحالة واحدة، وهي حالة شرح الصدر.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً**»[1].

وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً، ويكاد رأسه يمس قربوس فرسه، تواضعاً لله سبحانه وتعالى، لم ينفعل، ولم ينتقم، ولم يظهر عليه من أمارات الفتح العظيمة، غير الشكر

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣٣.

لله، والتواضع لله، والاعتراف لله تعالى بالجميل فيما أعطاه[١].

يقول ابن اسحاق عن فتح مكّة:

وأن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه (اللحية أو ما فضل منها بعد العارضين) ليكاد يمسّ واسط الرحل.

وعن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ مكّة يوم الفتح وذقنه على رحله متخشعاً.

وعن ابن مسعود: إن رجلاً كلّم رسول الله ﷺ يوم الفتح، فأخذته الرعدة، فقال: هوّن عليك، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد.

وقال في الروض الأنف ٢/ ١٨٠: طأطأ (عليه السلام) رأسه عام الفتح حين رأى كثرة اتباعه وهو على الراحلة حتى ألصق عثنونه بالراحلة امتناناً لأمر ربّه.

فهو صلى الله عليه وآله عندما يرزقه الله الفتح والنصر

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٥٥٥. وسبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥ / ٢٢٦، والروض الأنف ٤ / ١٥٩.

والظفر على أعدائه يتخشع لله تعالى ويتواضع لـه شـاكراً ولا يأخذه زهو المنتصرين، ويعفو عـن خصـومه وأعدائـه الـذين طالما حاربوه، فيقول لعتاة قريش عندما خرج من الكعبة وقد أحاطوا به: يا معشر قريش! ماذا تقولون؟ مـاذا تظنـون؟ قـالوا: نقـول خيـراً ونظـن خيـراً، نبـيّ كـريم، وأخ كـريم، وابـن أخ كريم، وقد قدرت.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فإنّي أقول كما قال أخي يوسف ﴿**لاَ تَثْرَيــبَ عَلَــيْكُمُ الْيَــوْمَ يَغْفِــرُ اللّــهُ لَكُــمْ وَهُــوَ أَرْحَــمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[١]. اذهبوا فأنتم الطلقاء. فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام)[٢].

لا ينتقم، ولا يزهو بما رزقه الله من النصر، ولا يستخدم ما رزقه الله في الانتقام من أعدائـه، ويعفـو عـنهم، ويتواضع لله، وإذا حلّت به الكـوارث والمصـائب كـان أكثـر النـاس صـبراً ومقاومة وسعة في الصدر.

---

(١) يوسف/ ٩٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥/ ٢٤٢.

هذه الخصلة في نفوس المؤمنين هي التي يسميها القرآن بـ (شرح الصدر).

ويَمُنّ الله تعالى به على رسوله ﷺ في المراحل الاولى من الأمر بتبليغ الرسالة، فيقول تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ**﴾(١)، والوزر: ثقل المسؤولية الذي ينقض ظهور المسؤولين...

ويمنُّ الله تعالى على عبده ورسوله ﷺ في هذه الآيات بأمرين: شرح الصدر، وتخفيف ثقل المعاناة والعذاب والمسؤولية عنه، وهو ما تعبّر عنه الآية الكريمة بـ ﴿**وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ**﴾، وبينهما فرق.

وكان (شرح الصدر) أول ما طلبه كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لما أمره الله تعالى أن يذهب إلى فرعون وقومه ليدعوهم إلى الله، فقال ﴿**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي***

(١) الشرح ١ ـ ٣.

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي* يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(1).

وفي هذه الآيات نجد نفس المطالب (شرح الصدر وتيسير الأمر).

وشرح الصدر هو أن يوسع الله تعالى وعاء صدور عباده لتستوعب المشاكل والتحديات بالصبر والحلم. والأمر الآخر تيسير الأمر ﴿**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾: هو تخفيف ثقل العمل على المؤمنين العاملين.

وفي مقابل (سعة الصدر): ضيق الصدر، وهي حالة من الضيق، وعدم الاستيعاب تنتاب الإنسان في السراء والضراء معاً، تجعله عرضة للانفعالات المختلفة كالبطر والرثاء، والتعجل، والانتقام، والتعب، واليأس، وضيق النفس والغضب...

وهذه الحالات تسلب المسؤولين القدرة على إدارة الموقف، وهي حالة ضارة في إدارة الأعمال الكبيرة منها

---

(1) طه: ٢٥ـ ٢٨.

والصغيرة، حتى داخل العوائل، وفي الأسواق، وفي العلاقات الاجتماعية المحدودة.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما الحليم من إذا أوذي صبر، وإذا ظلم غفر**»[(١)].

وأبلغ ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى هو ما أشرنا إليه سابقاً: «**ولا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلا**»[(٢)].

وهذه الكلمة تحدد حالة سعة الصدر، والقدرة على الاحتواء والاستيعاب من بعدين: في البأساء والضراء، فلا يسرع إليه الفشل والعي والعجز والضعف في البأساء، ولا يسرع إليه البطر والسرور والزهو في النعماء.

١٥ـ إضاعة المسؤولية

في الحديث: «**إن تضييع المرء ما وُلِـيَ، وتكلفة ما**

---

(١) غرر الحكم ١: ٢٦٨.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٣٣.

كُفِيَ لعجز ورأي متبّر»[(١)].

إنَّ مـن أفـدح الخطـأ أن يضـيّع الإنسـان مـا تـولاّه مـن المسؤولية بالأعمال والتواكل، ومن الخطأ أن يتكلّف الإنسان من المسؤوليات ما يكفيه الآخرون.

فإذا تحمّل الإنسان المسؤولية لابـد أن يعطيهـا حقهـا مـن الجد والاهتمام، ويُعدّ لها كل ما يتطلبه الأمر، من حزم وعزم، حتى ينهض بها.

وإذا وجد من نهض بها وهو خيـر منـه وأقـوى عليهـا فـلا يطلبها... فقد كفاه الله تعالى أمرها.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول لعبـد الـرحمن بن سُمُرة: «**يا عبد الرحمان، لا تسأل الإمـارة، فإنــك إذا أعطيتها عن مسألة وكّلت فيها إلى نفسك، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها**»[(٢)].

فإذا تحمل الإنسان المسؤولية أعطاهـا كـل جهـده ووقتـه

---

(١) ميزان الحكمة ٣: ٢٧٣١.

(٢) سنن أبي داود: ٢٩٢٩.

وهمه حتى يؤديها حق الأداء، ولا يضيعها بالإهمال والتسويف والتواكل وسوء الإدارة والمراقبة.

١٦ـ إضاعة الفرصة

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**إيّاك والتسويف، فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة، فبها تكون قسوة القلوب**»[(١)].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**لا مصيبة كحب البقاء، ولا ذلّ كذلّ الطمع، وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة**»[(٢)].

عمر الإنسان مجموعة من الفرص... وعلى الإنسان إذا فتح الله تعالى له باب فرصة أن ينتهزها.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من فُتِحَ له باب من الخير فلينتهزه، فإنه لا يدري متى يغلق عليه**»[(٣)].

ولا تدوم الفرصة طويلاً غالباً، ولا تنتظر الإنسان.

---

(١) تحف العقول: ٢٩٣.

(٢) تحف العقول: ٢٩٥.

(٣) كنز العمال: ٤٣١٣٤.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**الفرصة تمر مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير**»[١].

فإذا سنحت للإنسان الفرصة فعليه المبادرة قبل أن تفوت، وهذه الفرصة قد تكون في إقبال القلوب على الله تعالى في العبادة والدعاء والصلاة، وليس دائماً تقبل القلوب على الله، فإذا وجد الإنسان في نفسه إقبالاً على الدعاء والصلاة والذكر والاستغفار، فعليه أن يبادر إلى ذلك، قبل أن تفوته حالة الإقبال، وتغلبه حالة الانقباض.

كذلك في المشاريع الثقافية والسياسية والاقتصادية والتبليغية قد تمر على المؤمنين فرصة من فرص العمل لا تدوم ولا تتكرر، فعليهم المبادرة بانتهاز الفرصة قبل أن تمر الفرصة.

يقول الإمام علي عليه السلام: (**لا حسرة كالفوت**)[٢].

ويقول عليه السلام: (**مع الفوت تكون الحسرة**)[٣].

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٢١.

(٢) غرر الحكم/ ١٠٨٤١ .

(٣) غرر الحكم/ ١٨٤٠.

ويقول: (**من الخرق ترك الفرصة عند الإمكان**)[١].

والخرق والحمق والسفه وسوء التصرف.

ويقول عليه السلام: (**المرء ابن ساعته**)[٢].

فإذا أحسن استغلال الوقت ورصد الساعة المناسبة والاستفادة منها تكوّن ونشأ فيها، وكوّن فيها مستقبله ومجده وما يطمح إليه.

فإذا فوّت الإنسان الفرصة لم يعد عليه تفويت الفرصة بغير الحسرة، ولا تنفعه عندئذ الحسرة.

ويقول عليه السلام: (**في الفوت حسرة وملامة**)[٣].

ويقول عليه السلام: (**لا حسرة كالفوت**)[٤].

ويقول الإمام علي عليه السلام: (**بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة**)[٥].

---

(١) غرر الحكم/ ١٠٨٤٣ .

(٢) غرر الحكم/ ١٠٨١٤

(٣) غرر الحكم/ ١٠٨٣٦ .

(٤) غرر الحكم/ ١٠٨٤١ .

(٥) غرر الحكم للآمدي، الحكمة/ ١٠٨٢٠.

ويقول: (**أشد الغصص فوت الفرص**)[١].

ويقـول: (**إذا أمكنت الفرص فانتهزهـا، فـإنّ إضـاعة الفرصة غصّة**)[٢].

المبادرات في كلام أمير المؤمنين عليه السلام:

يُعدّ صاحب عنوان الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي - من أعلام الإمامية في القرن السادس - اثنين وعشرين مبادرة في كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

من ذلك: «(**بادر الفرصة قبل ان تصير غصّة**).

(**بادر البر، فان اعمال البر فرصة**).

(**بادر الخير ترشد**).

(**بادر الطاعة تسعد**).

(**بادر وأقبل الضنك والمضيق**).

(**بادروا قبل الروع والزهوق**).

---

(١) غرر الحكم للآمدي، الحكمة/ ١٠٨١٨.

(٢) غرر الحكم للآمدي، الحكمة/ ١٠٨١٩.

(بادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم).

(بادر شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك).

(بادر غناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك).

(بادروا والابدان صحيحة، والالسن مطلقة، والتوبة مسموعة، والأعمال مقبولة).

(بادروا بأموالكم قبل حلول آجالكم، تُزكّكم وتُزلّفكم).

(بادروا الموت وغمراته، ومهّدوا له قبل حلوله، وأعدوا له قبل نزوله).

(بادروا أعمالكم، فانكم مرتهنون بما أسلفتم، ومجازون بما قدمتم).

(بادروا بالعمل وسابقوا الأجل، فإن الناس يوشك ان ينقطع بهم الأمل ويرهقهم الأجل).

(بادروا بصالح الاعمال والخناق مهمل والروح مرسل)»[(١)].

* * *

تحذيران في كلمات الإمام عليه السلام

ويحذرنا أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته من أمرين: من العجلة قبل الأوان، ومن الأناة والمماطلة والتردد والتماهل عند الفرصة.

يقول عليه السلام: **(من الخرق العجلة قبل الامكان، والاناة بعد اصابة الفرصة)**.

والخرق: الحمق، والسفه، وسوء التصرف، كما قلنا.

وهذه الكلمة العلوية كلمة دقيقة وعميقة.

ولابد للإنسان لكي لا يرتكب الخرق، ان يعرف الوقت المناسب للعمل، وأوانه الصحيح الدقيق لا يقدم عليه قبل أوانه، ولا يتخلف عنه بعد أوانه.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي ١/ ١٦٦ .

ويقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: (**من الخرق المعاجلة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة**)(١).

من السفه والخطأ ان يستعجل الإنسان الأمور قبل أوانها، ومن الخطأ والسفه أن يتوانى الإنسان عن المبادرة بعد حصول الفرصة.

فإن الأول يريد أن يجني الثمرة قبل أوانها، والثاني يتوانى عن اقتطاف الثمرة بعد أوانها حتى تفسد وتسقط.

ذلك الاستعجال وهذه الأناة، كل منهما خرق وخطأ، سواء كان في المشاريع الاقتصادية أو الثقافية أو العمرانية أو السياسية أو غير ذلك.

ولابد لذلك من تشخيص دقيق للساعة المناسبة للعمل، فلا يستعجل قبلها، ولا يتريّث ويتردد اذا حلّ الوقت المناسب له.

ويتطلب ذلك من الإنسان أولاً أن يلجأ إلى الله تعالى ليهديه ويرشده إلى الوقت المناسب للإقدام.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة رقم/ ٣٦٣، ووسائل الشيعة ١٦ / ٨٣ - ١٠٦.

وثانيـــاً: أن يفكـر ويتأمـل ويـدرس الظـروف المؤاتيـة والمخالفة دراسة دقيقة ممعنة.

والتعجل قبل الاوان والتماهـل والتـردد عنـد الاوان آفتـان للانسان في العمل، سواء في المجالات الاداريـة أو السياسـية أو العسكرية أو الاقتصادية أو غيرها.

ولمكافحة آفة التعجـل لابـد مـن الصـبر والحـزم وتجـرع غصص الصبر.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (**الصبر على المضـض يـؤدي إلى إصابة الفرص**)[١].

ويقول عليه السلام: (الحزم تجرّع الغصّة حتى تمكن الفرصة)[٢].

بمعنى ان مـن الحـزم والرشـد وصـواب الـرأي ان يتجـرع الإنسان غصص الصبر حتى يمكّنه الله من الفرصة المناسبة.

ولمكافحـة آفـة التـردد والتماهـل: لابـد مـن الحـزم أولاً، والعزم ثانياً، والتوكل على الله عند الإقدام.

---

(١) غرر الحكم، الحكمة/ ٦٣٤٦ .

(٢) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٨٧٩ .

يقول امير المـؤمنينعليه السلام: (**اذا اقترن العزم بالحزم كملت السعادة**)[١].

حتى يقدر الإنسان على العزم والإقدام لابد له مـن الحـزم وإطالة التفكير والتخطيط والتـروي، والتعقـل والاسـتفادة مـن التجارب، فإذا كمل له (الحزم) مكّنه الله من العزم.

ويقولعليه السلام: (**أصل العزم الحزم وثمرته الظفر**)[٢].

وهاتان معادلتان من الحكمة العملية اللصيقة بحياة الناس.

ويقولعليه السلام: (**إذا استبنت فاعزم**)[٣].

معنـاه مـن يكتمـل مراحـل الاسـتبانة بـالرأي والتفكـر والاستشـارة والاسـتفادة مـن التجـارب. لابـد لـه مـن العـزم والإقدام.

ويقولعليه السلام: (**ضادّوا التواني بالعزم**)[٤].

(١) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٨٦٥.
(٢) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٩٠٤.
(٣) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٩٠٥.
(٤) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٩٠٨.

ويقول عليه السلام: (**من الحزم قوة العزم**)(١).

ويقول عليه السلام: (**من الحزم صحة العزم**)(٢).

وهما كلمتان دقيقتان بليغتان.

إن الإنسان يكتسب القوة في عزمه من الحزم والتفكير والتعقل.

كما يكتسب الصحة والرشد في عزمه من الحزم والتفكر والتعقل.

ولمكافحة التردد عندما يحين وقت العزم، ويحكم العقل بالعزم يعلمنا الله تعالى في كتابه درساً بليغاً وهو (التوكل على الله) وان يضع الإنسان ثقته بالله، ويفوض أمره إلى الله تعالى ويقدم.

يقول تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ**﴾(٣).

شواهد من استغلال الفرصة في تاريخنا:

ومن الشواهد على حسن استغلال الفرصة في تاريخنا ما

---

(١) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٩١٠.

(٢) غرر الحكم، الحكمة/ ١٠٩١١.

(٣) آل عمران/ ١٥٩ .

قام به الأئمّة الثلاثة الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام في فترة انتقال الحكم من بني أمية إلى بني العباس من عمل واسع في الاقاليم الاسلامية الواسعة في نشر معارف الاسلام وفقهه وثقافته، فقد عاش الامام الباقر عليه السلام فترة ضعف حكومة بني أمية، وعاش الامام الصادق والامام الكاظم عليهما السلام فترة ملاحقات بني العباس لبني أمية، فانتهزوا هذه الفرصة التاريخية – مع ما كانوا يجدونه من مضايقات في نشر فقه أهل البيت عليهم السلام وحديثهم وتفسيرهم ومعرفتهم- وهو في الحقيقة الفقه والمعارف الشفافة والنقية للإسلام. وتصدوا لنشر الثقافة الاسلامية من خلال التدريس والتحديث، والتفَّ حولهم وأخذ عنهم نفر من كبار فقهاء الاسلام، منهم نعمان بن ثابت إمام المذهب الحنفي، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وأبو أيوب السجستاني، ومحمد بن اسحاق صاحب المغازي وكثيرون آخرون.

يقول الحسن الوشاء: أدركت في هذا المسجد (يعني

مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ، كل يقول حدثني جعفر بن محمد[(١)].

وانتشر التشيع خلال هذه الفترة حتى عاد من غير الممكن لخلفاء بني العباس القضاء على مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الفقه والحديث والتفسير وتطويق وكلائهم ودعاتهم الذين انتشروا في رقاع واسعة من الأرض، رغم كل المضايقات التي مارسوها بحق أئمة أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم القريبين منهم.

١٧ـ الأناة

هي حالة غير (الحزم) إلاّ أنها تلتقي بالحزم.

وحقيقة الأناة: عدم التعجل.

وما يصيب الناس من التعجّل والاستعجال يكون في أمرين: في البدء بالعمل قبل أوانه، والبدء بالعمل قبل أوانه يفسد العمل، كمن يزرع في غير الموسم، ولكل مشروع ولكل عمل ظرفه الخاص، فإذا دخل صاحبه في المشروع في

---

(١) رجال النجاشي ١ / ١٣٧، رقم/ ٧٩ .

غير ظرفه أفسد على نفسه المشروع ويحبط عمله.

وأكثر ما يصيب الناس الإحباط في الأعمال السياسية والثورية وفي حركة المعارضة السياسية وفي المشاريع الحركية لهذا السبب... فقد ينجح قائد في تحريك الشارع وإثارة الناس للاعتراض والثورة على نظام فاسد، ويتحرك معه الشارع، ويحقق ما يريد... وقد يتحرّك آخر فلا يستطيع أن يصنع شيئاً، ولا يحرك ساكناً في الشارع... والفرق الزمن والظرف... ولو تأنى الثاني ودرس الظروف الموضوعية للثورة لم يواجه الإحباط، فإن للثورة ضد أي نظام فاسد ظرفها الخاص، فإذا بدأ بها قبل ظرفها لم تنجح الثورة.

ولكن ليس معنى ذلك الخلود إلى الراحة، والاستكانة للنظام الفاسد، وإنما معنى ذلك ترحيل الاعتراض والثورة والحركة ضمن مراحل من العمل والإعداد والتحضير لها.

وهذه هي الأناة الأولى في العمل، انتظار الظرف الزمني المناسب، وترحيل العمل ضمن مراحل، وليس الركون والسكون والسكوت.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما في الرواية

ـ: «**إياك والعجلة بالأمور قبل أوانها**»[١].. ويقـول عليه السلام: (مـن الخرق العجلة قبل الإمكان)[٢].

ومعنى الكلمة: انتظار الوقت والظرف المناسب للعمل وعـدم التعجل في العمل، وترحيل العمل والتخطيط لـه ضمن مراحل.

والأناة الثانية: الأناة في جني الثمار... وكمـا يضـر التعجـل الأول، يضر التعجل الثاني... فمن يريد أن يقتطف الثمرة قبـل أوانها يقتطفها فجّة، وعندئذ يصيبه الإحباط، ولو أنه تأنى فـي اقتطاف الثمرة إلى أوان نضجها لم يلحقه هذا الإحباط.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما في الرواية ـ : «**من تأنّى أصاب ما يتمنى**»[٣].

ويقـول عليه السلام: (**لا إصـــابة لعجـــول**)[٤]. و(العجلـة تمنـع

(١) تحف العقول: ١٤٧، بحار الأنوار ٧٤: ٢٦٤.
(٢) غرر الحكم، الحكمة/ ٥٧٧٢ و٥٧٧٣ .
(٣) الكلمتان اللتان رويناهما عن أمير المؤمنين عليه السلام لا تأبيان التفسير بكل من الاناتين.
(٤) غرر الحكم/ الحكمة ٥٧٨٧ .

الإصابة)[١].

ويقول عليه السلام: (**الأناة إصابة**)[٢].

إن الذي يتأنى لاستحصال النتائج، لوقتها يحققها بأفضل الأشكال. وهاتان أناتان وبينهما فرق واضح.

ومهما يكن من أمر فإن للزمن وظروف العمل دوراً في البدء بالعمل وترحيله واستنجاز النتائج المطلوبة منه، ومن يتجاوز (الزمن) يواجه حالات الإحباط كثيراً... وسوف يأتي الحديث عن هذه النقطة تحت عنوان آخر.

١٨ـ المؤمن لا تقهره المصائب

مهما كان حجم المصيبة والخسارة التي تلحق المؤمنين في ساحات المواجهة والصراع والقتال... يبقى المؤمنون فوق الإحساس بالهزيمة، لا يغلبهم الوهن والحزن، يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[٣].

---

(١) غرر الحكم / الحكمة ٥٧٨٩.

(٢) غرر الحكم / الحكمة ٦٣٥٨.

(٣) آل عمران: ١٣٩.

والعامل الذي يجعل المؤمنين فوق الوهن والحزن، ويحوّل الخسائر إلى أرباح والنكسة الميدانية في ساحة القتال إلى إحساس بالاستعلاء على العدو، هو الإيمان بالله تعالى ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

إن الحزن حالة طبيعية خلقها الله تعالى في نفس الإنسان، ولكن الحزن على الخسائر في النفوس والأموال لا ينبغي أن يؤدي إلى ضعف في موقف المؤمنين، ولا أن ينال من إحساسهم بالاستعلاء على العدو، ولا أن يتحول إلى إحساس بالهزيمة... وما يصح في قيادة المواقف يصح في عامة الأعمال بدرجات مختلفة، فإن تماسك القائد في الظروف الصعبة وثقته بالله تعالى، وإحساسه بالاستعلاء على العدو، يثبّت جمهور المؤمنين على أرض المعركة، كما أن تماسك المدراء والمسؤولين في مواجهة التحديات والمشاكل يثبّت عامة الناس ويبعث في نفوسهم القوة والطمأنينة.

لقد انتكس المسلمون انتكاسة مؤلمة في حرب أحد، ورجع المسلمون أشتاتاً إلى المدينة، وعاد المشركون منتصرين بزهو النصر، وكان ذلك يوم السبت (لخمس عشرة

من شهر شوّال). يقول ابن اسحاق: فلمّا كان الغد من يوم الأحد (لست عشرة من شوّال) أذّن مؤذّن رسول اللهﷺ بطلب العدو (من قريش) فأذّن مؤذّن أن لا يخرجن معنا إلاّ أحد حضر يومنا بالأمس.

قال ابن اسحاق: (فخرج رسول اللهﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد (من المدينة على ثمانية أميال) فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء)[١].

فهابته قريش فرجعوا إلى مكّة. وقد استعاد المسلمون هيبتهم العسكرية أمام قريش.

١٩ـ البشاشة والبشر

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للأشتر (رضوان الله عليه):

«**واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك**»[٢].

وفي وصيته لعبد الله بن عباس، وكان عامله على البصرة:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ١٠١ – ١٠٣.

(٢) نهج البلاغة، قسم الرسائل، الكتاب/ ٤٦.

«**سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك**»[(١)].

إنّ على المسؤولين والحكام أن لا يحجبوا الناس عن أنفسهم أولاً، ولا يجعلوا بينهم وبين الناس حجاباً.

وإذا التقوا بالناس يقابلونهم بالبشر، والبشاشة وانبساط الوجه، ولا يقابلون الناس بوجوه منقبضة.

والإمام يوصي الأشتر رحمه الله في وصيته: أن يخفض للرعية جناحه، فلا يستعلي عليهم، ويبسط لهم وجهه، فلا يقابلهم بالانقباض.

وفي وصيته لعبد الله بن عباس يوصيه أن يسع الناس في ثلاث: في مجلسه، ووجهه، وحكمه، فلا يضيق مجلسه بالعامة من الناس (الجمهور) ولا ينتقي لمجلسه النخبة، وإنما يفتح مجلسه لعامة الناس، في مواعيد منتظمة، وهذه هي التوسعة الأولى.

والتوسعة الثانية أن يسعهم بوجهه، والتوسعة بالوجه من أفضل أنواع التوسعة، فلا يقبض وجهه في لقائهم، ولا يشعر الناس بالتضايق منهم، والوجوه تنطق للناس بالتوسعة

---

(١) نهج البلاغة، قسم الرسائل، الكتاب/ ٧٥.

والتضييق.

وإذا وجد المسؤول من أسباب الانقباض شيئاً في نفسه فعليه أن يحفظ الانقباض والحزن لنفسه، ويتعلم أن يظهر للناس البشر والبشاشة، ويحتفظ لنفسه بالحزن والهموم.

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة المتقين المعروفة في وصف المتقين: «**حزنه في قلبه وبشره على وجهه**».

وفي كلمة أخرى مروية عنه عليه السلام في هذا السياق: «**إن بشر المؤمن في وجهه، وقوته في دينه، وحزنه في قلبه**»[١].

والتوسعة الثالثة في الحكم، فلا يضيق حكمه عن عامة الناس وجمهورهم، وإنما يعم عدله وحكمه الجميع، ويؤثر رضا العامة على رضا الخاصة في الحق... وهذا هو كلام الإمام عليه السلام: «**سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك**».

٢٠ـ الرأي بين التسرع والعجب

الرأي من ضرورات الإدارة، والمدير الذي لا يملك

---

(١) غرر الحكم: ٣٠٦١.

الرأي في دائرة مسؤوليته لا يستطيع أن يمارس الدور الذي يقع على عهدته.

ولكن الرأي يتعرض لآفتين كبيرتين، يجب أن يبرأ عنهما المسؤول ويتخلص منهما:

الآفة الأولى: العجب، فإن العجب يفسد على الإنسان رأيه، ويفقده الرشد والصواب... ولعل من أسباب العجب بطانته الذين يقربون له ذلك ويحسّنون له مواقع رأيه، ولا يجرحونه بالنقد.

وهذه الحالة تفسد على المسؤولين رأيهم، وتوقعهم في تخبط كبير.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**رضاك عن نفسك من فساد عقلك**»(١).

وعنه عليه السلام أيضاً: «**من أُعجب بحسن حالته قصّر عن حسن حيلته**»(٢).

---

(١) غرر الحكم ١: ٣٨٢.

(٢) غرر الحكم ٢: ٢٠٩.

إن العجب يفسد على الإنسان الرأي والحيلة. وأكثر عوامل العجب لدى المسؤولين، البطانة المغالية والمتملقة.

وكما يجب على المسؤول أن يتوقّى العجب برأيه، يجب عليه أن يستمع إلى الرأي الآخر، ويحترمه، ويقلبه، فلربما شخص تزدريه العيون، يقدم إليه رأياً جديراً بالاهتمام والتأمل.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يصغرنّ عندك الرأي الخطير إذا أتاك به الرجل الحقير**»[(١)].

والآفة الأخرى للرأي: التعجل والتسرع في الرأي، وفي مقابل التعجل والتسرع، الحزم، وهو التروي والتأمل قبل اتخاذ الرأي الأخير والقرار.

وبقدر ما يفسد التعجل والتسرع الرأي على صاحبه فإن الحزم يصلح الرأي والقرار ويحصنها.

ولكن على أن لا يؤدي الحزم والتروي إلى تعطيل القرار، فإنه من الضعف والعجز... وقد قال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ**

---

(١)غرر الحكم ٢: ٣٢٦.

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ﴾[1].

والعزم لا يكون إلاّ بالحزم، فإذا تم للإنسان كان عليه أن يتوكل على الله ويمضي في عمله.

ولا يسمح لنفسه التردد في القرار بعد أن اكتملت لديه أسبابه.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا هبت أمراً فقع فيه، فإن توقّيه أعظم مما تخاف منه**»[2].

٢١ـ دور الزمان في الإدارة الصالحة

الإدارة الصالحة تأخذ الزمان بنظر الاعتبار... والزمان ليس وعاءً للتاريخ والأحداث والأعمال فقط، وإنما هو من مقومات التاريخ والأعمال والأحداث أيضاً... فلرب مشروع يفشل في زمان فشلاً ذريعاً، ونفس المشروع بنفس المواصفات ينجح في زمان آخر، والفارق الزمان.

ولذلك نعتقد أن تشخيص الزمان من العناصر والشروط

---

(١) آل عمران/ ١٥٩ .

(٢) بحار الأنوار ٦٨: ٣٦٢.

المقومة للإدارة الصالحة.

والزمان ثلاثة: الماضي، والحاضر، والمستقبل... ولكل منها دور في الإدارة الصالحة.

إن الماضي لا يجوز إلغاؤه، بأي نحو في أي مشروع ثقافي، أو سياسي، أو حركي، أو تجاري، أو عمراني، أو جهادي وغير ذلك.

فقد يحمل الماضي من عوامل الإخفاق ما يؤدي إلى إحباط المشروع في الحال الحاضر، في نفوس الناس... وقد يحمل الماضي من الأخطاء ما يجب على الإدارة الصالحة تصحيحها قبل البدء بالعمل في الحال الحاضر.

إن الحوادث المختلفة المسرّة والمؤسفة والأخطاء والإخفاقات، والنجاحات التي تمت في الماضي تلقي بظلالها على الحاضر لا محالة.

وعليه، يجب أن نأخذ الماضي والتاريخ بنظر الاعتبار في أي مشروع حاضر أو مستقبل.

أمّا معرفة الحاضر (الحال) فله دور أساسي في نجاح العمل وفشله... والقيادة الصالحة الناجحة هي التي تضع

المشاريع في الظرف المناسب، والوعاء الزمني المكافئ للعمل.. فلرب مشروع يخفق في زمان، وينجح في زمان، بنفس المقومات، وليس الفارق المشروع فهو واحد، وإنما الفارق الزمان... فإن الزمان قد يكون من عوامل الإخفاق، وقد يكون من عوامل الإنجاح.. والمدير الناجح هو الذي يشخص الظرف الصالح لأداء العمل.

وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام:

«**العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس**»[1].

والمعرفة الدقيقة للزمان وتشخيص الظرف الصالح للعمل نحو من البصيرة الإدارية، والبصر بالإحداث.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شانه، حافظاً للسانه**»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**حسب المرء... من عرفانه،**

(١) تحف العقول: ٣٥٦.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ٥٢٥.

علمه بزمانه»[١].

وأما المستقبل، فهو امتداد للحاضر... وإذا كان وعاء الحاضر صالحاً لإدارة المشروع، فقد يحمل وعاء المستقبل من عوامل الإخفاق ما يغيب عن صاحبه... وقد يقبل الناس على مشروع ثقافي أو سياسي أو إنساني، أو اقتصادي، ثم يصيب الناس في المستقبل إرهاق وتعب، ويؤدي ذلك إلى إحباط المشروع، وعامل الإحباط يكمن في المستقبل، وليس في الحاضر ولا في الماضي، والإدارة الناجحة يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق في المستقبل من الآن.

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «**من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد**»[٢].

إن الاستعداد لعوامل الإحباط وفهمها والإخفاق التي يتضمنها المستقبل يجب أن يكون من الآن.

---

(١) بحار الأنوار ٧٨: ٨٠.

(٢) غرر الحكم ١ / ٩٣ . تحف العقول، خطبة الوسيلة. نهج السعادة ٥٢/١ .

وللزمان دور واضح في تغيير المناهج والأساليب.

صحيح أن الشريعة مجموعة من الثوابت التي لا تتبدل ولا تتغير في الظروف الزمانية المختلفة... ولكن ذلك في ثوابت الشريعة وحدود الله، وفرائض الدين، أما الأساليب والوسائل والمناهج التي لا تدخل في ضمن الثوابت والحدود الشرعية، فهي قابلة للاختلاف والتغيير، تبعاً للظروف والزمان.

وهذه نقطة دقيقة، من الخطأ أن نسحب نظام التغيير والاختلاف على ثوابت الشريعة، ومن غير الصحيح أن نثبت في جملة من الوسائل والمناهج، كالمناهج والوسائل التربوية مثلا، على نهج ثابت.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**»[1].

إن للزمان دوراً لا محالة، في اختلاف أساليب التربية

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٦٧. موسوعة الامام أمير المؤمنين (ع)/ الحكمة ٥٦٠٠، روائع نهج البلاغة لجورج جرداق.

والتعليم، ومناهجهما.

إن عناصر التربية والتعليم تبقى هي هي في كل العصور من الثوابت التي لا تتغير، ولكن الأساليب تختلف... ومن الخطأ أن نقسر أبناءنا وبناتنا، على نفس الأساليب التي كان يتعامل بها معنا أباؤنا وامهاتنا.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**من أمن الزمان خانه، ومن تعظم عليه أهانه، ومن ترغّم عليه أرغمه، ومن لجأ إليه أسلمه، وليس كل من رمى أصاب، وإذا تغيّر السلطان تغير الزمان**»[1].

وحرّي بنا أن نطيل الوقوف عند هذه الكلمة العلوية القيمة، التي تحمل معاني ومعارف جمّة، لولا أن الوقت والفرصة لا تسعنا.

في هذه الكلمة نتوقف عند مجموعة من النقاط يشير إليها الإمام علي عليه السلام:

---

(١) بحار الأنوار ٧٧: ٢١٣.

(**من أمن الزمان خانه**): يخطأ الإنسان خطأ فادحاً إذا تصور أن الزمان هو الزمان، لا فرق، فيُقْدِمُ على عمل، نجح فيه غيره، فيقتحمه من غير احتساب عامل الزمان، فيخونه الزمان، ويفشل.

يقول علي عليه السلام في هذا المعنى: «**من وثق بالزمان صُرِع**»[1].

كمن يجد غيره يمشي على ماء ضحل ويعبره، فإذا وجد ماءً تصور أن الماء هو الماء فيقتحمه فيخونه الماء، فيقع في وحل وغرق... كذلك الزمان.

إن الزمان يختلف عن الزمان، والزمان ذو غِيَر، ومن أمن غِيَر الزمان خانه، فيسقط ويفشل، ولابد قبل أي عمل من دراسة حال الزمان، الذي يقدم فيه الإنسان على العمل.

ثم يقول عليه السلام: (**ومن تعظّم عليه أهانه**). وليس لأحد أن يحتقر الزمان، ويتعظم عليه، ويجازف، ويقدم، من غير احتساب دور الزمان في العمل، والذي يجازف، ويقدم،

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٥٤ ـ ٢٠٤.

مستهيناً بالزمان يهينه الزمان، ويحتقره، ويتجاوزه... يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: «**من كابر الزمان عطب**»[(١)].

ثم يقول عليه السلام: (**ومن ترغّم عليه أرغمه**). وكما ليس للإنسان أن يتعظم على الزمان ويحتقره، ويتجاوزه، كذلك ليس له أن يرغم الزمان، على ما لا يستجيب له... فإن الزمان يحكم الإنسان، ولا يحكم الإنسان الزمان، ومن حاول أن ينفلت من قبضة قهر الزمان، وإرغام الزمان على ما لا يستجيب له، أرغمه الزمان...

إن حتمية الزمان من الحتميات القاهرة في التاريخ.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في هذا المعنى: «**من عاند الزمان أرغمه**»[(٢)].

نعم، من الممكن أن يعالج الإنسان الزمان، فيجعل من الزمان الشؤم زماناً مباركاً، ومن الزمان الصعب زماناً سهلاً، ومن عصر الدكتاتورية والاستبداد السياسي، عصراً للثورة

---

(١) تحف العقول: ٨٥.

(٢) غرر الحكم: ٩٠٥٤.

على الظالمين، ولكن هذا علاج وتوجيه وتعديل للزمان، وليس إرغاماً ولا احتقاراً للزمان... والعلاج والتعديل غير المكابرة.

ولكل من مكابرة الزمان والتحكم عليه وعلاجه، أحكام وظروف خاصة ليس موضعه الآن.

ثم يقول عليه السلام ـ كما في الرواية ـ: (**ومن لجأ إليه أسلمه**).

ليس معنى ما تقدم من النهي عن ائتمان الزمان ومكابرته ومراغمته، أن يلقي الإنسان نفسه في أحضان الزمان ويستسلم له، ويأخذ بمقتضيات الزمان، مهما كان، خيراً أو شراً، ضعفاً أو قوة، فإن هذا السلوك المتلون مع الزمان هو الحالة الانتهازية التي ينهى عنها الإسلام. إن علينا أن نفهم الزمان ونعالجه ولا نأتمنه ولا نكابره ولا نراغمه، وعلينا أيضاً أن نحذر من ركوب الزمان، وأن نتطبّع بمتطلبات الزمان، فإن من توحي إليه نفسه أن يركب موجة الزمان، ويعمل بمقتضاه، مدحاً أو ذماً، إيماناً أو كفراً، هزيمة أو مقاومة، حباً أو بغضاً، طاعة أو تمرداً... أقول: إن من يستسلم لحكم الزمان، ويركب الموجة، يسلمه الزمان إلى الموجة، ويتحول

الإنسان عندئذٍ من عامل مؤثر في التاريخ إلى خشبة عائمة على موجة الزمان... وفي هذا المعنى يقول الإمام علي عليه السلام: «**من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسلم**»[1].

وبين معاندة الزمان ومراغمته، وبين الاستسلام المذل للزمان، يجب أن يقف المؤمن موقفاً وسطاً في التاريخ والمجتمع، وهو موقف دقيق، لا يسعنا الوقت لشرحه أكثر من هذا الحد.

ثم يقول عليه السلام: (**وليس كل من رمى أصاب**).

فقد يرمي أحد ويصيب، وقد يرمي آخر فيخطئ، وليس الفرق في الرمي والاستهداف، وإنما الفرق في الزمان. فقد يرمي أحد في زمان، فتصيب الرمية، ويرمي آخر في زمان آخر، فلا تصيب الرمية.

إن إهمال عامل الزمان من أكبر أخطاء الناس ومن لا تصيب رميته، لا يعاتب الزمان، ولا يعاتب حظه، فليس

(١) غرر الحكم، الحكمة/ ٢٢٠٩ .

القضية في الحظ ولا في الزمان، وإنما عليه أن يراجع حساباته في تشخيص الزمان، حتى يعرف متى يرمي ومتى يكف عن الرمي؟ ومتى يتحرك ومتى يكف عن الحركة؟ ومتى يقوم ومتى يقعد؟ ومتى يهتف ومتى يهمس؟ ومتى يقاتل ومتى يسالم؟... ومتى ومتى؟؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة جميعاً تندرج في تشخيص الزمان ومعرفته. فإذا رمى، في غير وقت الرمي، فلم تصب رميته فلا يعاتب الزمان، وإنما يعاتب نفسه، لأنه لم يعرف الزمان، فإن الزمان لا يتقبل عتاب من يعاتبه.

يقول علي عليه السلام: «**الزمان يخون صاحبه، ولا يستعتب لمن عاتبه**»[١]... إعرف زمانك جيداً، ثم اعمل بما تمليه هذه المعرفة من العلاج والتخطيط، حتى لا تحتاج إلى عتاب الزمان، فيرفض الزمان منك العتاب. . فإن الزمان يخون صاحبه، إذا لم يحسن معرفته

ثم يقول عليه السلام: (**وإذا تغيّر السلطان تغير الزمان**).

---

(١) غرر الحكم: ٢٠٩٣.

إن بين الزمان والسلطان علاقة جدلية حميمة، يغير الزمان السلطان، ويغير السلطان الزمان، فكم من زمان صالح أفسده السلطان، وكم من سلطان صالح، أضعفه الزمان...

وقد كان صاحب هذه الكلمة (صلوات الله عليه) حاكماً صالحاً وإماماً معصوماً، قمّة في العدل والعقل والتدبير والحزم والعزم والقيادة الحكيمة والشجاعة، ولكن زمانه جعله في مواجهة ابن أبي سفيان... يقول عليه السلام لمعاوية: «**فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يَسْعَ بقدمي ولم تكن له سابقتي**»[1].

لا لأنه لم يعرف زمانه. فقد كان من أخبر الناس بزمانه، وإنما لأنه جاء وحكم في غير زمانه كما يقول ميخائيل نعيمة.

ولو كان يأتي في زمن غير ذلك الزمان لتغير وجه المجتمع الإسلامي ووجه التاريخ الإسلامي، ولكان للتاريخ الإسلامي وللحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل شأن غير هذا الشأن، ولكنه عليه السلام تولى الحكم بعد

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٠.

أن عمل من كان قبله من الحكام في تأسيس حكومة بني أمية في الشام وتوطيد أركانه، منذ خلافة الخليفة الثاني الذي ولّى معاوية ومن قبله أخاه يزيد بن أبي سفيان على إقليم الشام كله، فأحكم بنو أمية أركان ملكهم في الشام، فلما تولّى الإمام عليعليه السلام الحكم حكمه الزمان، ولم يتمكن أن يزيل بني أمية من الحكم، وتغير وجه التاريخ الإسلامي منذ ذلك الحين على أيدي بني أمية، ثم جاء بنو العباس بنفس المنهاج في الظلم والإسراف وانتهاك حرمات الله تعالى.

فلم يكن في الإمام عليعليه السلام وابنه الحسن ضعف أو عجز أو قصور، وإنما حكمهم الزمان الذي يقهر الناس، ولا يقهر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢٢ـ مبدأ توزيع المسؤوليات

يقول أمير المؤمنينعليه السلام في بعض رسائله إلى عماله:

«**واجعل لكل إنسان من خدمك عملاً تأخذ به، فإنه أحرى ألا يتواكلوا في خدمتك**»[١].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

هـذه الكلمـة تشـير إلـى مبـدأ توزيـع المسـؤوليات بـين المسؤولين، وهو مبدأ هام فـي الإدارة، يمكّـن المسـؤول مـن محاسـبة كـل واحـد مـنهم علـى مـا يقـع تحـت يـده مـن المسؤوليات، ويمنعهم من التواكل.

بخـلاف التـداخل فـي المسـؤوليات فإنـه يفسـح المجـال للمسؤولين في التواكل فيما بيـنهم، واعتمـاد كـل مـنهم علـى غيـره، ويقلـل مـن فـرص المسـائلة والمحاسـبة مـن ناحيـة المسؤول الذي يتولى أمورهم.

٢٣ـ معايير الاختيار الصحيح

اختيار الشخص الصالح للموقع المناسب من أهم المسائل الإدارية... فقد يختار المسؤول إنساناً صالحاً كفوءاً لموقع من المواقع، فيكون سبباً لإنجاح ذلك الموقع وذلك العمـل، وقـد يقع اختياره على عنصر غير صالح لموقع من المواقع، فيـؤدي إلى إفشال الموقع، وإفشال المشروع الذي اختـاره لـه، وأهـم العناصـر والمعـايير التـي تـدخل فـي الاختيـار الصـحيح هـي المعرفة والأمانة والكفاءة.

ولقد أشارت ابنة شعيبعليه السلام على أبيهـا عنـدما سـقى لهـن

موسى عليه السلام أن يستأجره، وقالت في ذلك: **﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾**[١]، فوصفت موسى بن عمران عليه السلام بالأمانة والقوة، وهما عنصران أساسيان في الاختيار الصالح[٢].

وعندما رشح يوسف عليه السلام نفسه لأمانة خزائن مصر، ذكر لملك مصر لتوجيه هذا الترشيح كلمتين: **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾**[٣]. وهاتان الكلمتان هما: (الحفظ) و(العلم).

و(الحفظ) بمعنى الأمانة، والقوّة (العلم) بمعنى المعرفة والكفاءة.

فهذه ثلاث نقاط في معايير الاختيار الأصلح: الأمانة، والقوة والكفاءة.

ولأمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر (رضوان

---

(١) القصص: ٢٦.

(٢) لم نتأكد من أن الشخص الصالح الذي استأجر موسى عليه السلام، وزوّجه ابنته هو شعيب عليه السلام، ولكن هذا هو المعروف.

(٣) يوسف: ٥٥.

الله عليه) كلمة جامعة في التعريف بالكفاءة والقوة، نقلها.

يقول عليه السلام: «**واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها**».

وهو كلام دقيق في التعريف بكفاءة المسؤول وقوته، لا تغلبه الأمور الصعبة الكبيرة التي تواجه المسؤولين، ويبقى هو الأقوى في أي مواجهة ومقابلة للمشاكل والتحديات التي تواجهه.

وفي كلمة أخرى له عليه السلام في التعريف بالمتقين: «**في الزلازل وقور**»(١).

وهذه الخصلة من خصائص المدير القوي الكفوء لا يضعف ولا يفقد توازنه أمام التحديات الصعبة.

والخصلة الأخرى في تحديد الكفاءة القوة في المسؤولين (**ولا يتشتت عليه كثيرها**) كما لا يغلبه كبيرها لا يشتّته كثيرها... إن المسؤول الذي تتشتت عليه الأمور، لا يتمكن أن

(١) نهج البلاغة، قسم الخطب، خطبة المتقين.

يجمعها ويهيمن عليها ويديرها وينظمها.. إن الإدارة القوة هي تجميع شتات الأمور وتنظيمها وترتيبها بحسب الأولويات والاستحقاقات، من دون ارتباك.

وهذه الخصال أيضاً من خصال القوة، كما الخصلة المتقدمة.

ونقرأ في كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه)[1]، عندما ولاه مصر، معايير أخرى في اختيار الصالح نذكرها بإيجاز.

١ـ التجربة والخبرة في العمل الذي يعهد إليه.

يقول عليه السلام: «**وتوخّ منهم أهل التجربة**».

٢ـ الاختيار من البيوتات الصالحة.

٣ـ القدم في الإسلام.

ويعلل الإمام ذلك بقوله: «**فإنهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً، وأمل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب**

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

الأمور نظراً»... إن تاريخ الإنسان جزء لا يتجزأ من كيانه، فإذا كان تاريخه مشرقاً نظيفاً معروفاً بالصلاح أمكن الاعتماد عليه والوثوق به.

٤ـ النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين.

يقول الإمامعليه السلام في نفس الكتاب في معايير اختيار الصالح.

«فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك».

هؤلاء ينصحون لله، ورسوله وأئمة المسلمين فيما يعملون وما يقولون، أما أولئك الذين يبتغون من المواقع زهو الحياة الدنيا ومتاعها، فلا يصلحون لهذه المواقع ولا ينصحون.

٥ـ القيم وفضائل الأخلاق.

وهي بلا شك من عناصر الاختيار الصالح... أما الذين يفقدون فضائل الأخلاق، ويتعاملون مع الناس بفظاظة، ومع مواقع المسؤولية من منطلق المصالح الشخصية، والبطر والرئاء، فلا يصلحون لتحمل أية مسؤولية من مسؤوليات

المسلمين.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نفس الكتاب: «**ثم انظر في حال كتابك، فولّ على أمورهم خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك، وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق**».

٦ـ الامتحان.

ولابد أن يسبق الاختيار الامتحان.

فلا يختار المسؤولون شخصاً لمهمة قبل أن يعرفوا كفاءته لإدارة ذلك العمل بالامتحان.

يقول علي عليه السلام في نفس الكتاب: «**ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباة ولا إثرة**».

وهو الأسلوب الصحيح للاختيار الأصلح.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «**الطمأنينة إلى أحد قبل الاختبار له عجز**»[1].

---

(١) نهج البلاغة: حكمة ٣٨٤.

٢٤ـ الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية

المشاريع الكبيرة لا ينهض بها إلاّ أصحاب الهمم العالية. وليس معنى الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية الجنوح إلى المثاليات في العمل... ولا تنافى الاهتمامات الكبيرة أن يكون أصحابها واقعيين في مشاريعهم... وإنما الفارق بين الأعمال المحدودة والمشاريع الكبيرة همم أصحابها...

فالذين آتاهم الله الهمم العالية ينهضون بالأعمال العظيمة، في العمر المحدود الذي يعيشه الآخرون وبالإمكانات المحدودة التي يملكها الآخرون.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**خير الهمم أعلاها**»[1].

وقيمة الإنسان بمقدار همته وطموحه.

عن علي عليه السلام: «**قدر الرجل على قدر همته**»[2].

والهمم تكلّف أصحابها لا محالة ضروباً من الجهد والتعب والصبر، يتحملها أصحابها في مسيرة حياتهم، وهذه

---

(١) غرر الحكم ١: ٣٤٩.

(٢) نهج البلاغة: حكمة ٤٧.

الهموم هي ضريبة الهمم.

عن علي عليه السلام: «**على قدر الهمم تكون الهموم**»[١].

٢٥ـ بين المسؤولية والرعاية

يكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى أحد عماله الذين تجاوز حدود صلاحياته في عمله: «**وأنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تقتات في رعية، ولا تخاطر إلاّ بوثيقة**»[٢].

إن خطّ المسؤولية مسلسل من حلقات المسؤولية والرعاية، يربط المسؤول والحاكم في الخط الصاعد بمن يتولى أمره، ويكون هو مسترعى له، وفي الخط النازل يكون مسؤولا عمن يتولى هو أمره يحاسبه ويسائله.

فهو راعٍ لمن دونه ومسترعى لمن فوقه، مسؤول عن المواقع (النازلة) التي تقع في حوزة مسؤوليته، وفي نفس

---

(١) غرر الحكم ٢: ٢٨.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥، من كتاب له إلى أشعث بن قيس عامله على آذربايجان.

الوقت هو مسؤول ومحاسب من قبل من يكون فوقه... وعليه أن يتقبل السؤال والمحاسبة من قبل المواقع الفوقية التي تقع أعلى منه في مسلسل الرعاية والمسؤولية... كما عليه محاسبة من يقع دونه من مواقع المسؤولية.

ولا يصح له أن يحاسب ويسائل من دونه ثم لا يقبل السؤال والحساب منه ممن فوقه.

والمسؤولية كلها سؤال وحساب، يسائل من دونه في مسلسل المسؤولية، ويتقبل سؤال من فوقه في هذا المسلسل.

وهذا هو التصور الإسلامي الصحيح لمواقع المسؤولية.

إن مواقع المسؤولية مرتبطة بالسؤال والجواب والرعاية، والاسترعاء من الطرفين... ويجري هذا على كل مواقع المسؤولية حتى آخر هذه المواقع وأرفعها وهو ولاية الأمر العامة، فإن موقع الولاية العامة مسترعى من جانب الله تعالى، وولّي الأمر يخضع للسؤال والجواب من جانب الله، كما يطالب من دونه من المواقع بالجواب والحساب.

إن مواقع المسؤولية مرتبطة من الطرفين بالمسؤولية والرعاية، على كل المستويات... وإذا عرف المسؤولون في

النظام الإداري في الإسلام هذه الشبكة المترابطة من المسؤولية والرعاية، في كل المواقع، من دون استثناء، وارتباط هذه الشبكة العظيمة في آخر حلقاته بالله تعالى، إذا عرف أصحاب المواقع هذا الترابط العظيم بين مواقع المسؤولية على هذه الشبكة، وارتباطها جميعاً بالله انتظم أمر المسؤولية في المجتمع.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه):

«**فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، وولي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك**».

الفهرس